

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــــدد 86

01 آذار 2023

سورية بين سندان الحصار ومطرقة الزلزال



نحو مشروع للنّهوض القومي



طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــــدد 86

01 آذار 2023

محتويات العدد 86 من مجلة طلقة تنوير:

الصفحة

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023



في الجيولوجيا السياسية للزلازل السورية

إبراهيم علوش

بلغت قوة زلزال مرعش في 6 شباط / فبراير الفائت 7.6 على مقياس ريختر. بناءً عليه، فإنه يعد من الزلازل الكبرى عالمياً. وقد وقع أثره الأكبر في شمال سورية لأن محافظة مرعش تعد جغرافياً الحد الشمالي للأقاليم السورية الشمالية التي ألحقت ظلماً وبهتاناً بتركيا بموجب معاهدة لوزان 1923 بين تركيا من جهة، وفرنسا أساساً، ومعها القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية، من جهةٍ أخرى. وكانت مرعش تابعة تاريخياً لحلب، حتى أواخر العهد العثماني.

العبرة أن زلزال مرعش، ومن ثم زلزال لواء الإسكندرون السليب في 20 شباط / فبراير، والذي بلغت قوته 6.4 على مقياس ريختر، هما زلزالان سوريان بامتياز، سواءٌ امتد أثرهما إلى مناطق تركية، أو إلى مناطق سورية محتلة تركياً أو خارجة عن سيطرة الدولة شمال غرب سورية أو تقع ضمن سيطرة الدولة السورية في محافظات حلب وإدلب واللاذقية وحماة.

تصنيف الزلزالين، ولا سيما أولهما، بأنهما سوريان، مهمٌ لأن انهمار التعاطف باتجاه أنقرة، في حين أن معظم المناطق المنكوبة سورية، وأغلب الوفيات لسوريين، مقيمين ونازحين ولاجئين، جعل من التعاطف مع أنقرة، في سياق ما بعد الزلزال بالذات، ذريعةً لـ:

أ ـ تهميش دمشق سياسياً لدى الغرب الجماعي وبعض الأنظمة العربية، أي لتكريس حصارها.

ب ـ استغلال الفرصة للمطالبة بفتح المعابر التركية مع مناطق شمال غرب سورية الخارجة عن سيطرة الدولة السورية، أي لتكريس الهيمنة التركية عليها.

ج ـ توجيه معظم المساعدات دولياً وإقليمياً باتجاه أنقرة، بعيداً عن دمشق، في حين أنها تحتاجها أكثر بكثير من أنقرة.



طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــ 86 ـــدد
01 آذار 2023

الزلازل ووتيرتها:

في السياق العام، تقع الزلازل في كوكبنا بوتيرةٍ أعلى بكثير مما قد نتخيل للوهلة الأولى، لكنّ الزلازل الكبرى، أي تلك التي تبلغ قوتها أكثر من 7 على مقياس ريختر، تلفت نظر الناس، نتيجة الدمار والموت العظيمين اللذين تخلفهما عند وقوعها، فنظن أنها وحدها الزلازل، لكن هذا ليس دقيقاً على الإطلاق.

يقع نحو مليون زلزال سنوياً على كوكب الأرض، لكننا لا نشعر بغالبيتها الساحقة لأن قوة 600 ألف منها تبلغ 2.0 على مقياس ريختر، أي نحو 56 كيلوغراماً من المتفجرات، أو أقل. وتقع نحو 300 ألف هزة أرضية سنوياً بقوة تراوح بين 2.0 و3.0 على مقياس ريختر. على سبيل المقارنة، تبلغ قوة صاعقة عادية نصف هذا المدى تقريباً. وتقع نحو 50 ألف هزة أرضية سنوياً بقوة 3-4 على مقياس ريختر، وهذه لا يشعر بها إلا من كان قريباً منها. وتقع نحو 6000 هزة سنوياً بقوة تراوح بين 4 و5 على مقياس ريختر، وربما تسبب مثل تلك الهزات تصدعات خفيفة على سطح الأرض أحياناً، ولكنها ليست ذات شأن كبير.

الهزات الأرضية التي يمكن أن تحدث دماراً ما تبدأ بعد 5.0 على مقياس ريختر، وهذه أقل وقوعاً وتكراراً، ولكنها أبلغ أثراً، وتقع الهزات التي تبلغ قوتها بين 5.0 و6.0 على مقياس ريختر نحو ألف مرة سنوياً، وتلك التي تبلغ قوتها بين 6.0 و7.0 على مقياس ريختر نحو 120 مرة سنوياً، وتلك التي تبلغ قوتها بين 7.0 و8.0 نحو 18 مرة سنوياً (وزلزال مرعش كان منها)، وتلك التي تزيد قوتها عن 8.0 مرة واحدة أو أقل سنوياً.

كان أقوى زلزال سجل في العصر الحديث هو زلزال «فالديفيا» في ساحل تشيلي على الأطلسي في أمريكا الجنوبية يوم 22/5/1960، وبلغت قوته 9.5 على مقياس ريختر، وتسبب بموجة تسونامي سافرت بسرعة تزيد على 320 كيلومتراً في الساعة عبر المحيط الأطلسي فقتلت العشرات على الأقل في كلٍ من هاواي واليابان والفليبين وغيرها بالأمواج العملاقة. على سبيل المثال، انقضت أمواج «فالديفيا» العالية على الساحل الياباني في جزيرة «هونشو»، على بُعد أكثر من 17 ألف كيلومتر عن تشيلي، وبَعد 22 ساعة من وقوع الزلزال، فدمرت 1600 منزل وقتلت أو ابتلعت 185 شخصاً.



ولولا أن زلزال «فالديفيا» جاء بعد الظهر في تشيلي، لا في الليل والناس نيام، ولولا أنه افتتح فعالياته المدمرة بهزة إنذار أولية قوية، دفعت بمعظم الناس خارج الأبنية إلى الشوارع والساحات، في ما يشبه الهدوء قبل أن يحل بكامل عنفوانه، لكان عدد قتلاه في تشيلي لا يعد ولا يحصى، ولكنه ترك مليوني شخص بدون مأوى بعد تهديمه آلاف العمارات، وقتل عدة آلاف من التشيليين من أثر التسونامي أساساً. وهذا بحمد الله ولطفه إذا أخذنا بعين الاعتبار أن زلزال «فالديفيا» أطلق طاقة تعادل عشرات ترليونات الأطنان من المتفجرات.

كيف تحدث الزلازل؟

ربما يبدو سطح الأرض هادئاً وثابتاً، لكنه ليس كذلك إطلاقاً، ونحن لا نتحدث عن دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس هنا، بل عن الصفائح التكتونية المتحركة باستمرار على سطح الكرة الأرضية، إذ إن غلاف الكرة الأرضية، بقاراتها وجبالها وسهولها وسواحلها وأنهارها وبحارها ومحيطاتها، هو عبارة عن مجموعة من الصفائح التي تشبه جزراً برية عملاقةً تعوم في القشرة الأرضية، فتصطدم وتلتحم أو تعلق ببعضها ثم تنزلق. وتنشأ الزلازل بأنواعها من تفاعل تلك الصفائح مع بعضها البعض.

يمكن أن تصل سماكة الصفيحة التكتونية بالمتوسط إلى 200 كيلومتر تحت سطح القارات، ونحو 50 إلى 100 كيلومتر تحت سطح المحيطات. لكن هذا العمق هو متوسط فحسب، والمتوسط العام لعمق الصفيحة هو 125 كيلومتراً، ويبلغ أقصى مداه تحت سلاسل الجبال وأدناه عند أطراف المحيطات.

تتحرك هذه الصفائح بسرعات متباينة. فإذا علقت ببعضها أثناء حركتها يحدث احتكاك فيما بينها، فإذا ازداد الاحتكاك تتراكم طاقة عند نقاط الاحتكاك، أو خطوط تماسها إذا شئت، فإما أن تتغلب قوة حركة الصفيحة على مقاومة الاحتكاك، فتنشأ موجة زلزالية عند أطراف الصفائح، وهو الأعم الأغلب، وإما أن لا تتغلب عليها، فتنتقل الطاقة إلى وسط الصفيحة وتنطلق الموجة الزلزالية هناك، وهو الأندر حدوثاً. ولكنه حدثٌ ربما يمثل في الطبيعة شكلاً من أشكال تحول التناقض الخارجي إلى تناقض داخلي عندما يستعصي على الحل فيصبح انفجاراً داخلياً.



المهم أن المادة والحركة صنوان، وأن التغير والتبدل، لا الجمود، هما الظاهرة الطاغية على الوجود، وأن الحركة، لا السكون، هي قانون الطبيعة الذي سنّه الله في الكون، إذ وجد علماء الفلك أن ثمة هزات قمرية مثلاً، أي أن الزلازل لا تقتصر على كوكب الأرض.

لمحة عن الصفائح على كوكب الأرض

نعمّر مدننا ومصانعنا وشوارعنا وعماراتنا إذاً على صفائح تكتونية متحركة، وبعض تلك الصفائح كبير الحجم وعددها 7، وأكبرها صفيحة المحيط الأطلسي، ويزيد حجمها عن 103 مليون كم مربع؛ ومنها الصفيحة الأمريكية الشمالية، وتضم معظم أمريكا الشمالية وغرينلاندا وجزء من سيبيريا، ويبلغ حجمها نحو 76 مليون كم مربع؛ ومنها الصفيحة الأوراسية، وتضم معظم، وليس كل، آسيا وأوروبا، ويبلغ حجمها نحو 68 مليون كم مربع؛ ومنها الصفيحة الإفريقية التي يبلغ حجمها أكثر من 61 مليون كم مربع، وهي تتألف من معظم القارة الإفريقية والمياه المجاورة، باستثناء الصفيحة الصومالية الممتدة على شكل قوس من خليج عدن باتجاه القرن الإفريقي إلى جزيرة مدغشقر، وهي صفيحة بدأت تنشق عن الصفيحة الإفريقية منذ نحو 22 مليون عام بمعدل 6 إلى 7 مليمتر سنوياً، لتدخل بذلك في طائفة الصفائح الثانوية، وهي تلك التي يقل حجمها عن 20 مليون كم مربع ويزيد عن مليونٍ واحد.



من الصفائح الثانوية جيولوجياً أيضاً الصفيحة العربية، ويبلغ حجمها 5 مليون كم مربع، وتتميز بأنها صفيحة مستقلة بذاتها تتحرك شمالاً بمعدل 15 إلى 20 مليمتراً سنوياً، دافعةً الصفيحة الأناضولية الأصغر حجماً إلى الغرب بمعدل 21 مليمتراً سنوياً بعكس



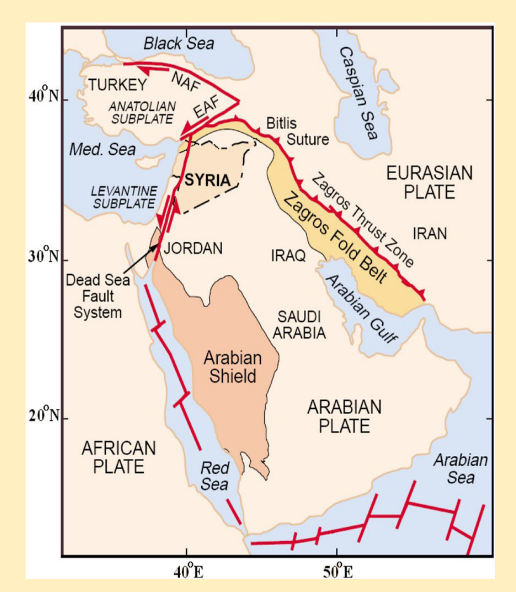
اتجاه الساعة، أي باتجاه جنوبي شرقي، لأن الصفيحة الأناضولية التي تشكل معظم تركيا الحالية تصدها الصفيحة الأوراسية غرباً وشمالاً، والصفيحة الإفريقية جنوباً وشرقاً.

يدفع هذا التناقض الصفيحة الأناضولية للانفصال عن الصفيحة الأوراسية التي تشكل الأناضولية جزءاً منها، كما أن الصفيحة الإفريقية تغوص تحت الصفيحة الأناضولية، كأنها تحتويها؛ تماماً كما احتوت الصفيحة الأوراسية قبل ملايين السنين الصفيحة الأدرياتكية، المتشكلة من شبه الساق والقدم الإيطالية والمياه المجاورة وصولاً إلى سواحل اليونان، وهي الكتلة المنفصلة عن الصفيحة الإفريقية بالأساس، والمندمجة الآن بالصفيحة الأوراسية.

الصفيحة العربية والإفريقية في مواجهة الصفيحة الأناضولية

تمدد الصفيحة الأناضولية ظاهرياً فوق الصفيحة الإفريقية تفتح الباب لكثيرٍ من الإسقاطات في حقل الجغرافيا السياسية، وكذلك توزع الصفائح التكتونية عبر الوطن العربي وجواره.

فإذا كانت الجغرافيا السياسية هي دراسة توزع الوحدات السياسية مكانياً، وأثر العوامل الجغرافية في تشكل الكيانات السياسية وتفاعلاتها، فإن الجغرافيا لا تقتصر على المرئي من سطح الأرض فحسب، وربما يكون الوقت قد حان لتعميق الجغرافيا السياسية من خلال أخذ الجزر التكتونية وتفاعلاتها وانزياحاتها التي تمتد بضع عشرات الكيلومترات في باطن الأرض. فلننظر إلى الخريطة المرافقة التي تمثل توزع الصفائح التكتونية في المشرق العربي وجواره جيداً.





طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 86
01 آذار 2023

نلاحظ هنا، أولاً، أن الصفيحة العربية تمتد طبيعياً من بحر العرب عبر الجزيرة العربية إلى سورية والعراق، وصولاً إلى المحافظات السورية والعراقية المحتلة تركياً، وعلى رأسها مرعش، وهي خطوط تماس بين الصفيحة العربية وتلك الأناضولية وأحد أهم وأطول خطوط الاحتكاك الزلزالي في العالم، جيولوجياً وسياسياً، منذ الحثيين إلى الرومان والبيزنطيين إلى السلاجقة والعثمانيين إلى يومنا هذا.

من الواضح هنا، ثانياً، أن لا انفصال جيولوجياً (ولا تاريخياً) بين الجزيرة العربية من جهة، وسورية والعراق من جهةٍ أخرى، وأن الصفيحة العربية تمتد من الشمال إلى الجنوب على حدود جبال زاغروس لتضم كل الأحواز وصولاً إلى مضيق هرمز ثم إلى بحر العرب، تليها شرقاً الكتلة الإيرانية التي تعد جزءاً من الصفيحة الأوراسية.

ثالثاً، لو عدنا إلى الخريطة السابقة لأهم الصفائح التكتونية عالمياً، سنجد الصفيحة العربية محاذية جنوباً وشرقاً بعد ذلك للصفيحة الهندية (المتصلة بدورها بالصفيحة الأسترالية)، وأن عُمان هي جغرافياً النقطة العربية الأقرب إلى الهند، ما يفسر العلاقات التاريخية مع الهند وجوارها عبر عُمان.

من اللافت جداً هنا، رابعاً، أن الساحل الشامي، بين أنهار بلاد الشام الغربية: العاصي والليطاني والأردن، من جهة، وبين البحر المتوسط، من جهةٍ أخرى، يقع على الصفيحة الإفريقية، المقطع السينائي منها تحديداً. لكن الكتلة السينائية، الممتدة إلى لواء الإسكندرون السليب وعمق كيليكية، هي خط التماس بين الصفيحة الإفريقية من جهة والصفيحة الأناضولية المنشقة عن الصفيحة الأوراسية. ففي شمال غرب سورية المحتل تركياً تلتقي الصفائح العربية والإفريقية والأناضولية، لتشكل بؤرة زلزالية ذات شأن.

ليس من المستغرب، رابعاً، أن يكون الساحل الشامي على البحر المتوسط، القائم بكليته على الصفيحة الإفريقية، أكثر تفاعلاً مع مصر تاريخياً، من غزة إلى أوغاريت التي كتبت أبجديتها بالنقش المسماري ولكن التي تعد امتداداً للحرف السينائي، وهو الأبجدية الأولى في التاريخ التي تكونت في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد في الوعاء الجغرافي الإفريقي الشامي-السينائي-المصري.



للمزيد حول هذه النقطة، الرجاء مراجعة «الآراميون، الأنباط، المصريون القدامى، وأصل الخط العربي» لكاتب هذه السطور في العدد 84 من مجلة «طلقة تنوير»، ويذكر طبعاً أن الأنباط لم يقتصروا على شرق الأردن بل امتدوا من مدائن صالح في الحجاز إلى محطاتٍ شيدوها في النقب مثل «عبدة» في الطريق إلى غزة.

يذكر طبعاً أن الكنعانيين، وفرعهم الفينيقي، انحسروا غرب أنهار بلاد الشام الغربية، أي على الجرف الإفريقي من بلاد الشام، فيما حل الآراميون محل العموريين في أقسامها الداخلية. ولعل ربطَ كنعان بنسل حام الإفريقي في التوراة (سفر التكوين 18:9 و6:10) تعبيرٌ ثقافي (مضاد) عن تلك الصلة، بغض النظر عن دقة التوراة في هذا الأمر أو عدم دقتها، فنحن نتناولها هنا كوثيقة سياسية، لا كنص تاريخي، تؤكد على الصلة الكنعانية-المصرية.

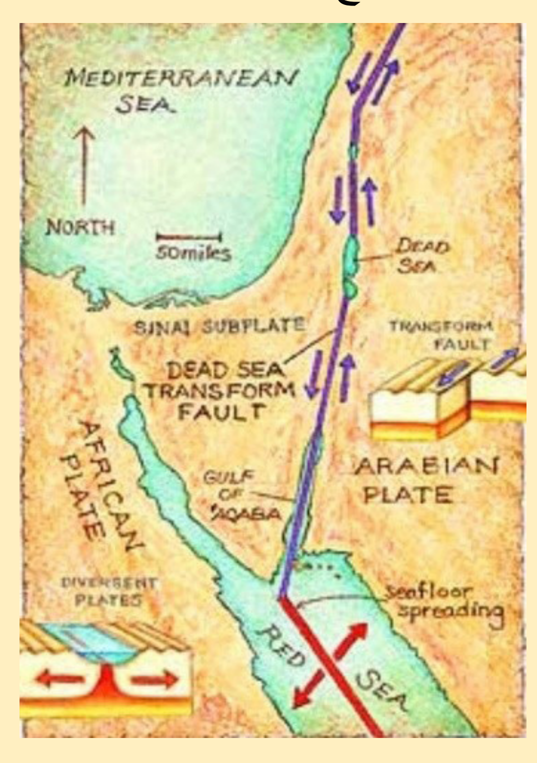
المهم، حدث زلزال 20 شباط / فبراير الفائت في لواء الإسكندرون جزئياً نتيجة تغول الصفيحة الأناضولية على الرأس الشامي للكتلة السينائية من الصفيحة الإفريقية، فكأنها تعتصره، مع أخذ مواقع الصفائح الأخرى المحاذية وحركتها بعين الاعتبار، في حين راحت الصفيحة الإفريقية تتمدد من تحت الصفيحة الأناضولية، وهو ما ينذر إما بالتحامٍ دائم أو بانفجارٍ عظيم.

خط تصدع البحر الميت

لعلها حكمةٌ إلهية أن يكون الساحل الشامي، لا سيناء أو مصر، هو الرابطُ الجيولوجي بين الصفيحة العربية المستقلة والصفيحة الإفريقية، في ما يشبه تكريساً للهوية العربية-الإفريقية المشتركة للأمة العربية، والصفيحة العربية هي بالأساس كتلة منشقة عن الصفيحة الإفريقية، وبسبب ذلك الانشقاق تكوّن البحر الأحمر.

لا يشكل الساحل الشامي إذاً جناحاً غربياً للهلال الخصيب، الذي لا يمكن فصله جيولوجياً عن الصفيحة العربية بطبيعة الحال، بل يشكل لساناً إفريقياً في آسيا بدلالة خط التصدع المعروف باسم «خط تصدع البحر الميت»، والذي يمتد طولياً كخط تماس بين الصفيحة العربية من جهة وتلك الإفريقية من جهةٍ أخرى، كما نرى في الصورة المرافقة. وينشأ التصدع هنا من التصاق الساحل الشامي بالصفيحة النوبية (الإفريقية) عبر سيناء، التي

تنـزع شـمالاً وشـرقاً، تمامـاً كالصفيحـة العربيـة، إنمـا بوتيـرة أبطـأ مـن حركـة الصحيفـة العربيـة، مـا ينتـج احتـكاكاً وانزلاقـاً بيـن الصفيحتيـن.



لا يحـدث الانـزلاق بالمعدل ذاتـه علـى طـول خـط تصـدع البحـر الميـت، مـا يجعلـه مجموعـة مـن خطـوط التصـدع فعليـاً؛ ففـي منطقـة وادي عربـة مثـلاً كان معـدل الانـزلاق بيـن 2 و6 ميلمتـر سـنوياً مـا تسـبب بأربعـة زلازل فـي الأعـوام 1068، 1212، 1293، و1458 ميلادي؛ وفـي منطقـة غـور الأردن بيـن البحـر الميـت وبحيـرة طبريـا بلـغ معـدل الانـزلاق نحـو 5 ميلمتـرات سنوياً، مـا تسـبب بزلـزال كبيـر فـي العهـد الأمـوي عـام 749 ميـلادي كان مركـزه الجليـل فـي فلسـطين دمـر بلـداتٍ ومدنـاً كثيـرةً فـي فلسـطين وشـرق الأردن والجـولان، كمـا تضـررت مـدنٌ عديـدةٌ عبـر بـلاد الشـام، وقضـى فـي ذلـك الزلـزال عشـرات الآلاف، وتلتـه أربعـة زلازل بيـن عامـي 1033 و1035 ميـلادي أحدثـت دمـاراً عظيمـاً فـي بـلاد الشـام، قضـى فيـه 70 ألفـاً، وأحـدث تسـونامي فـي البحـر المتوسـط. وتتوقـع دراسـات عبريـة أن الطاقـة المحتقنـة منـذ ذلـك الوقـت تكفـي لإحـداث زلـزال فـي المنطقـة أشـد وأكبـر حجمـاً.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023



الموضع الإشكالي الآخر في خط تصدع البحر الميت يعرف باسم فالق اليمّونة، عبر سلسلة جبال لبنان الغربية، نسبة إلى منطقة اليمونة في محافظة بعلبك-الهرمل في لبنان، ويوازيه صدع روم وصدع راشيا-سرغايا، ويبلغ متوسط معدل الانزلاق على طول صدع اليمونة 4.0 إلى 5.5 مليمتر في السنة، مع وجود فاصل زمني كبير لتكرار الزلزال يتراوح بين 1020 و1175 سنة. ووقع الزلزال الأخير المتصل بذلك الصدع عام 1202. ويبلغ معدل الانزلاق على صدع روم نحو 1 ميلمتر سنوياً، ومعدل الانزلاق على صدع راشيا-سرغايا 1.4 ميليمتر سنوياً، ويعد مسؤولاً عن زلزالين كبيرين عام 1759 في ظل الاحتلال العثماني الغاشم.



أما القسم الشمالي من صدع البحر الميت فيتألف من أربعة صدوع: مصياف، سهل الغاب، حجي باشا، وكاراسو، وأخطرها صدع مصياف في محافظة حماة، ويمتد من صدع اليمونة في لبنان، ويبلغ معدل الانزلاق عند صدع مصياف-سهل الغاب 6.9 ميلمتر سنوياً، ويعد مسؤولاً عن زلزالين كبيرين عامي 115 و1170 ميلادي، ولا يتوقع الجيولوجيون حدوث زلزال قريباً عند ذلك الصدع، والله أعلم.

حان الوقت إذاً للتحدث عن الجيولوجيا السياسية، وهي تظهر بوضوح أن بلاد الشام هي واسطة عقد الجناح الجزيري والجناح الإفريقي للأمة العربية، وأن كلا الجناحين يتحدان في الشام في مواجهة الكتلة الأناضولية. وللمزيد حول هذا الموضوع، الرجاء مراجعة

«عروبة سورية خط دفاع جغرافي-سياسي في وجه الأناضول» و«إشكالية الموقف من تركيا عقائدياً وسياسياً»، لكاتب هذه السطور.

كلمة أخيرة حول الزلازل

لا تحدث الزلازل من جراء اصطدام الصفائح التكتونية فحسب، إذ ربما تحدث على أعماق تتجاوزها بكثير، وصولاً إلى 500 و800 كيلومتر تحت سطح الأرض. لكنّ الزلازل التي تقع عميقاً في غور الأرض لا تؤثر على قشرتها بالدرجة ذاتها، ويمكن القول عموماً أن أثر الزلزال يقل بمقدار ابتعاده عن سطح الأرض. فإن وقع على عمق 20 كيلومتراً سيكون أكبر أثراً مما لو وقع على عمق 500 كيلومتر.

لكنّ هذا ليس العامل الوحيد الذي يحدد أثر الزلازل، كما أن مدى الموجة الزلزالية (المحسوبة بلوغاريتم الموجة الزلزالية)، أو كمية الطاقة التي يفجرها الزلزال، بمقياس ريختر أو غيره، ليس بدوره العامل الوحيد الذي يحدد أثره.

تتسم أشد الزلازل عنفاً بأنها نتاج انغراس صفيحة تحت أخرى، تماماً كالصفيحة السينائية تحت الأناضولية. كما أن طول الفالق الذي يقع الزلزال عنده يعد أحد أهم العوامل التي تحدد أثر الزلزال، فكلما زاد ذلك الطول، كلما اشتد أثر الزلزل وتوزع بصورة أوسع. ويذكر أن أحداً لم يستطع بعد التنبؤ بوقوع الزلازل بصورةٍ منهجية. ولكن طول خطوط التماس مع الكتلة الأناضولية وطبيعتها تنذر دوماً ببقاء سورية في حالة من عدم الاستقرار، ولا حل لهذه المشكلة إلا بتفكيكها.

أخيراً، ربما يتسبب زلزال بقوة 6.5 مثلاً بضررٍ أقل من زلزال بقوة 5.5، وذلك أن طبيعة التربة التي يقع فيها الزلزال تلعب دوراً كبيراً في احتوائه أو نقل موجاته. فالصخور الصلبة والتربة المتماسكة ناقل رديء للأمواج الزلزالية، وبالتالي تعمل على احتوائها، أما الرمل والوحول فتعمل على تكبير حجم الموجة الزلزالية ونقلها بصورةٍ أسرع. والعبرة واضحة: كلما كانت تربتنا أكثر تماسكاً، كلما قلّ ضرر الموجات الزلزالية الناتجة عن الاحتكاك مع الأناضول... عبر تاريخنا الجيولوجي والسياسي برمته.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023

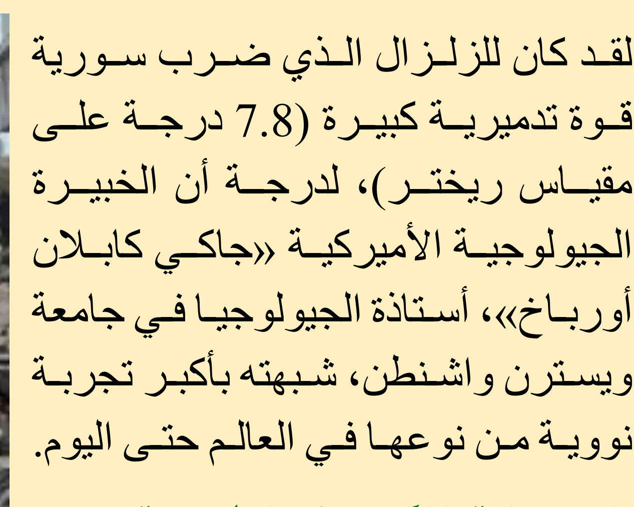


التداعيات الاقتصادية والسياسية لزلزال سورية

ذو الفقار علي عبود*

بالرغم من أن الحديث عن حجم الخسائر الاقتصادية الحقيقية للزلزال في سورية ما يزال مبكراً، ريثما تنجلي وتتضح نتائج الهزات الارتدادية العديدة المتلاحقة، وريثما تنطلق الفرق البحثية المتخصصة في تقديراتها وإحصاءاتها، تمهيداً لإعداد تقاريرها النهائية بهذا الخصوص، إلا أن الأمم المتحدة أطلقت نداءً طارئاً لجمع نحو أربعمئة مليون دولار لمساعدة ضحايا الزلزال في سورية على مدى ثلاثة أشهر فقط، وهذا الرقم لا يغطي سوى احتياجات نحو خمسة ملايين سوري في المحافظات الأربع المنكوبة، وتشمل الاحتياجات المأوى والرعاية الطبية والغذاء، حيث أدت زيادة نمو السكان بمرور الوقت إلى مزيد من الضحايا في هذه المحافظات.





لقد كان للزلزال الذي ضرب سورية قوة تدميرية كبيرة (7.8 درجة على مقياس ريختر)، لدرجة أن الخبيرة الجيولوجية الأميركية «جاكي كابلان أورباخ»، أستاذة الجيولوجيا في جامعة ويسترن واشنطن، شبهته بأكبر تجربة نووية من نوعها في العالم حتى اليوم.

الاستجابة للكوارث الطبيعية:

بشكل عام، هناك مبدأ طبيعي وعلمي يقول: إذا أردنا منع المخاطر الطبيعية من التحول إلى كوارث اقتصادية، فإن درهم وقاية في التخطيط لمنع الكوارث هو خير من قنطار علاج بعد الكارثة

فالدول منخفضة الدخل، والشريحة الاجتماعية الدنيا في الدول متوسطة الدخل، لا تستطيع أن تتحمل التكاليف الناجمة عن الكوارث، حيث تعتمد تلك الدول على حلول مؤقتة

وظرفية، مثل الحصول على قروض طارئة أو مساعدات مالية أو تحويل مسار موارد مالية أخرى محدودة.

وغالباً ما يؤدي نقص آليات القدرة المالية على الصمود في وجه الكوارث إلى تأخر التعافي الاقتصادي، ويطيل أمد المصاعب التي تواجهها الحكومات والأسر ومنشآت الأعمال والمجتمعات المحلية المتأثرة بالكارثة.

لكن، يمكن أن يساعد دمج إدارة مخاطر الكوارث في التخطيط الإنمائي، على وقف تنامي تأثير الكوارث، وحين تقوم الدول بإعادة البناء بعد الكوارث على نحو أقوى وأسرع وأكثر شمولاً، فإنه يمكنها خفض تأثير الكارثة على موارد السكان ورفاهيتهم بنسبة تصل إلى 31 %.

بشكل عام، بعد حدوث كارثة طبيعية، ينخفض الناتج الاقتصادي، ويتدهور عجز المالية العامة في الأجل القصير، وتتراجع وتتضرر إمكانات التصدير لدى الدولة، الأمر الذي يزيد من العجز في التجارة الخارجية والخدمات مع بقية العالم.

ويمكن تخفيف حدة هذا الأثر من خلال المعونات الخارجية والاستثمار الأجنبي، لكن بعد الكوارث الكبيرة، فإن الآثار تظل عادةً قائمةً على النمو الاقتصادي والدخل القومي، فينخفض النمو في الاقتصاد بنسبة 0.7% في العام الأول بعد وقوع الكارثة، وتكون خسائر الناتج المتراكمة بعد ثلاثة أعوام من وقوعها أعلى بنحو 1.5% من إجمالي الناتج المحلي من الخسائر المباشرة الفورية، ويتراجع نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي الحقيقي بنحو 0.6% في المتوسط، و1% في الدول منخفضة الدخل.

وبعد وقوع كارثة كبيرة، يتعين على صناع القرار أن يقرروا ما إذا كان ينبغي تمويل الإنفاق في حالات الطوارئ بخفض الإنفاق القائم أو تحويل مساره أو بالاقتراض من الخارج. فإذا كانت الرؤية أن الصدمة مؤقتة، أي أن التعافي المادي سيستغرق أقل من عام واحد، يكون من المنطقي الاقتراض لدعم الاقتصاد المحلي وموازنة الآثار العكسية للصدمات. ويساعد ذلك أيضاً على الحفاظ على دخول الأشخاص الأكثر تضرراً ودعم الفئات الأكثر ضعفاً.



أما إذا كانت آثار الكارثة الطبيعية طويلة الأمد، فيجب أن يقوم الاقتصاد ببطء بتعديل أوضاعه ليتواءم مع التوازن الجديد، ويتعين أن تقوم الحكومة بتمهيد المرحلة الانتقالية والحفاظ على الاستقرار الاقتصادي الكلي.

وفي الدول منخفضة الدخل، غالباً ما تؤدي الكوارث الطبيعية إلى زيادة الدَين العام حتى مع وجود مساعدات مالية خارجية وتدفقات من تحويلات العاملين في الخارج.

من جهة أخرى، يتوقف مدى ودرجة تأثير الكوارث الطبيعية على عوامل كثيرة، منها حجم الاقتصاد وهيكله، وتركيز السكان في المناطق المعرضة للخطر، ونصيب الفرد من الدخل، ومدى تطور النظام المالي.

تخلص الدراسات العلمية إلى أن ارتفاع مستوى المهارات وهيكل المؤسسات، مثل نوعية الحكومات المحلية والخدمات الصحية وأجهزة الشرطة ومدى سيادة القانون وزيادة الانفتاح التجاري والإنفاق الحكومي، تساعد كلها على خفض التكاليف الاقتصادية المترتبة على وقوع كارثة طبيعية. فوجود مؤسسات أفضل ومستويات تعليمية أعلى لدى السكان يساعد على ضمان الفعالية والكفاءة في الاستجابة للكارثة وجودة تخصيص المعونات الأجنبية وسلامة إنفاذ التدابير الهيكلية مثل قوانين البناء والقوانين المتعلقة بتحديد المناطق المتضررة، وهو ما يساعد على خفض الأضرار لدى وقوع الكارثة.

إضافة إلى ذلك، فإن الدول التي تتوافر لديها احتياطيات جيدة من النقد الأجنبي وتطبق قيوداً على تدفقات رأس المال إلى الخارج يمكنها أن تتحمل بشكل أفضل مسألة هروب رؤوس الأموال، والذي غالباً ما يعقب حدوث كارثة طبيعية.

وتكون معاناة الدول أقل بعد وقوع كارثة طبيعية إذا كانت تمتلك وتدعم نظم مالية أعمق، أي عدد أكبر من الأفراد لديهم حسابات مصرفية، وعدد أكبر من الأسر والشركات التجارية لديها قروض مصرفية.

وبشكل عام، يكون العجز المالي أكبر لدى الدول التي توجد فيها نظم مالية متطورة، كما تكون خسارتها من الناتج أقل. وتوفر أسواق الائتمان الأعمق إمكانات أكبر للحصول

على التمويل المحلي لتمويل التعافي، ما يقلل ضرورة الاقتراض من الخارج والذي يمكن أن يستغرق الحصول عليه وقتاً أطول أو يمكن أن يكون غير مُتاح نهائياً.

ويكون الأداء أفضل بعد الكوارث في الدول التي لديها نظم مالية عميقة وتغطية تأمينية مرتفعة، لأن المخاطرة تُنقل إلى أطراف خارجية، حتى في حالة شركات التأمين المحلية، من خلال سياسات إعادة التأمين، وبالتالي يفرض الاستثمار أو التعمير على الدولة أعباء قليلة، أو قد لا يفرض أي أعباء.

وبشكل عام، ومن خلال دراسة تداعيات عدة زلازل وقعت حول العالم، فإن التداعيات الاقتصادية تتراوح ما بين 100 مليون دولار و144 مليار دولار (باحتساب الخسائر غير المباشرة)، وذلك استناداً إلى حجم الزلزال والافتراضات داخل النموذج الاقتصادي. كما أن تحليلاً اقتصادياً لنتائج كوارث طبيعية حاصلة سابقاً وسيناريوهات مفترضة لظواهر من بينها الزلازل، عادة ما تبدأ خسائرها من 100 مليون دولار، ويمكنها أن تصل إلى 100 مليار دولار.

على سبيل المثال، عانت اليابان من بعض الزلازل الأكثر تكلفة، حيث قُدّرت الخسائر المباشرة من زلزال هانشين العظيم عام 1995 (أي الخسائر في البنية التحتية والمرافق والنقل) بمبلغ بين 100 و144 مليار دولار، أو 2.1% من الناتج المحلي الإجمالي لليابان.

وبحساب الخسائر غير المباشرة، قد تصل الخسائر في الناتج الإجمالي من ذلك الزلزال إلى 144 مليار دولار.

وتسبب زلزال 2011 والتسونامي اللاحق في اليابان، في خسائر طالت الإنتاج في اليابان بلغت 32 مليار دولار في آذار و52 مليار دولار في نيسان، وبلغت خسائر الإنتاج خارج اليابان بسبب هذا الزلزال 17 مليار دولار خلال هذين الشهرين.

وكان لمعظم الزلازل الأُخرى في القرن الحادي والعشرين تأثيرات اقتصادية في حدود مليار أو ملياري دولار.

وإضافةً إلى الخسائر في الأرواح والأضرار التي تلحق بالمباني، يمكن للزلازل أن تدمر شبكات النقل، مما يؤدي إلى آثار اقتصادية شديدة.



كما أدى زلزال Niigata-Chuetsu في اليابان عام2004 إلى خسائر بقيمة 247 مليون دولار بسبب تعطيل حركة النقل فقط.

وتشير دراسات إلى أن زلزالاً افتراضياً قوته 8.7 درجات على مقياس ريختر، في ولاية تينيسي الأميركية، على أساس زلزال ضربها عام 1812، قد يؤدي إلى تكلفة اقتصادية إجمالية (مباشرة وغير مباشرة) تبلغ 254 مليار دولار في جميع أنحاء الولايات المتحدة بسبب تعطيل الطرق السريعة والسكك الحديدية.

وتشمل دراسات أُخرى حول الزلازل سيناريوهات افتراضية تحاكي احتمالات الحياة الواقعية، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يؤدي زلزال بقوة 7.1 درجات في لوس أنجلوس الأميركية، إلى خسائر بقيمة 100 مليار دولار من الخسائر الإجمالية مع خسائر انقطاع الأعمال التي تفوق الأضرار التي تلحق بالبنية التحتية.

كذلك يمكن أن يؤدي زلزال يعطل نظام المياه في بورتلاند ميتروبوليتان في ولاية أوريغون إلى خسائر في الإنتاج الإقليمي تتراوح بين 418 و516 مليون دولار..

تداعيات سياسية:

لكن التأثيرات قد تمتد أيضاً إلى التداعيات السياسية، وبخاصةً في منطقة يتداخل فيها نفوذ دول عدة وقوى دولية مثل تلك التي وقع بها زلزال تركيا وسورية.

فمع اندفاع الكثير من الدول لتقديم يد العون إلى المتضررين في سورية، والتي أصبحت فيها أربع محافظات منكوبة هي حلب وإدلب واللاذقية وحماة، انصب التركيز على كيفية المساعدة في إنقاذ السكان المحاصرين تحت الأنقاض، وإغاثة المنكوبين والمشردين وتلبية احتياجاتهم العاجلة من طبابة ومأوى وغذاء.



لكن الطبيعة الحساسة للصراع في سورية، ودور تركيا المتداخل مع قوى إقليمية ودولية أخرى، يجعل للتداعيات السياسية تأثيراً مهماً في ديناميات

العلاقات في المنطقة، وبصفة عامة فإن التجارب والتحليلات السياسية التي شملت 185 دولة في الفترة بين 1975 و2002، تشير إلى أن الزلازل لا تزيد من احتمالية نشوب صراع فحسب، بل إن آثارها تكون أكبر بالنسبة إلى الزلازل الشديدة التي تضرب مناطق ذات كثافة سكانية ومنخفضة الدخل كانت تشهد نزاعات موجودة مسبقاً.

وعلى الرغم من أن كثيرين من العلماء وصانعي السياسات ومنظمات الإغاثة يعتقدون أن الكوارث الطبيعية توحد المجموعات البشرية معاً وتثبط الصراعات، فإن ذلك يكون عادة في المناطق التي تشعر بوحدة الهدف والمصير المشترك، كما أن الزلازل يمكن أن تحفز بالفعل الصراع داخل الدول من خلال إحداث ندرة في الموارد الأساسية، ولا سيما في البلدان النامية حيث تكون المنافسة على الموارد الشحيحة أكثر حدة، وذلك وفق ما أشارت تحليلات إحصائية، وتوضح هذه النتائج أن جهود التعافي من الكوارث يجب أن تولي اهتماماً أكبر لاحتواء تأثيرات الزلازل واتخاذ تدابير معينة، بما في ذلك تعزيز الإجراءات الأمنية، لمنع اندلاع مزيد من الصراعات.

وتتباين العواقب السياسية بعد الكوارث الطبيعية القوية في العالم، ففي حين توضح دراسة أجرتها جامعة «أوبسالا» السويدية أن الثقة السياسية في الحكومة لدى المواطنين لا تتأثر بشكل عام، إلا أن السياق السياسي لهذه الكوارث يتيح استغلالها بشكل استراتيجي من قبل الجهات الفاعلة لشن مزيد من الانتقادات ضد الحكومة في المواقف المتوترة سياسياً، وهناك دراسة في مركز الدراسات التركية الحديثة في جامعة «كارلتون» تشير إلى احتمال حدوث نوع من التلاعب السياسي بالمأساة بدرجة كبيرة، وهناك خطر من العواقب المدمرة للزلزال إزاء أية استحقاقات دستورية أو سياسية يُنتظر أن تشهد قدراً من المزايدات السياسية والإعلامية في الداخل والخارج.

وكاستجابة مباشرة بعد عمليات الإغاثة، يُطلب من الدول التي شهدت زلزالاً مأساوياً وضع قواعد بناء جديدة وتطبيق أكوادٍ إلزامية لتأمين كل المباني من التأثر بالزلازل القوية، ومع ذلك يحذر المهندسون المعماريون والمخططون الحضريون لسنوات عدة من أن القواعد إذا لم يتم اتباعها بدقة كافية قد تكون سبباً لمزيد من التدقيق العام حول هذه القضية من قبل الفرقاء السياسيين.



الباحثة في معهد «بروكينغز» في واشنطن أسلي أيدنتاسباس، توضح أن كارثة زلزال مدمرة قد تُظهر فشل الحكومة في تطوير استراتيجية وطنية للتعامل مع الزلازل على المستوى الوطني، وتشعل رغبة شعبية كبيرة في التغيير، كما حصل في أعقاب كارثة زلزال 1999في تركيا التي قطف ثمارها السياسية في النهاية حزب العدالة والتنمية (حزب الرئيس رجب طيب أردوغان)، عندما وصل الحزب إلى السلطة عام 2002.

وفي هذا الإطار، تضيف الباحثة أيدنتاسباس «أنه مع تلاشي حلم تركيا الأوروبي، تضاءل اهتمام الحكومة التركية بالتزام معايير السلامة الأوروبية، وبعد ما يقرب من عقدين من الزلزال الهائل عام 1999 أقرت تركيا عام 2018 تشريعات وطنية تتعلق بكوارث الزلازل، لكن تلك القواعد لم تحترم بدرجة كافية، في الوقت الذي وصف فيه أردوغان صناعة البناء بأنها جوهرة تاج الاقتصاد، مما شجع على الافتقار الضمني إلى الرقابة، في الوقت الذي كانت فيه عقود البناء العامة الكبيرة في تركيا تذهب إلى المقربين من الحكومة»، ولهذا تعتقد أيدنتاسباس أنه من حق الشعب التركي المطالبة بإجراء تحقيق شامل في هذا السؤال على وجه التحديد.

من جانب آخر، هناك عديد من أوجه الاستفادة للحكومات من الكوارث الطبيعية، فقد حشدت المأساة الطبيعية في سورية حلفاءها مع الدول الأخرى التي توترت علاقتها معها، من أجل التضامن وعرض المساعدة الإنسانية وفرق الإنقاذ المدربة، مثل العديد من الدول العربية، وروسيا وإيران والصين والهند وباكستان وأرمينيا وكازاخستان وغيرها من الدول، في ضوء ضعف خبرة سورية في الزلازل الشديدة والافتقار لآليات متطورة للاستجابة لحالات الطوارئ.

ويشير الباحث «ريتش أوزن» المستشار الجيوسياسي في «المجلس الأطلسي» إلى أن المساعدة العالمية اللازمة لإنقاذ الأشخاص المحاصرين يمكن أن تقلل من حدة التوترات الإقليمية، وأن الرسائل المتعاطفة والداعمة من مختلف أنحاء المنطقة، تذكر بأن المآسي يمكن أن تخلق أيضاً إحساساً بالتضامن في أوقات الأزمات، ولهذا قد يكون هناك بعض الهدوء في العلاقات الإقليمية المتوترة في أعقاب وأثناء عملية التعافي.

*أستاذ دكتور في كلية الاقتصاد- جامعة طرطوس- سورية



طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023

كسر الحصار: أي خطاب يليق بنا؟

مريم نصرالله



هي ذي الحرب تطوي عاماً عصيباً آخر، كان فيه ما يكفي من الدموع والآلام والخسارات، ما يكفي من الجوع والفقر والتشرد، وما يكفي من بسمات أخفاها الغبار وأحلام أطفأها الظلام... هي ذي الحرب تدخل عاماً آخر، وهو ذا الحصار يشد الخناق، فماذا يسعُ دمشق؟

يصعب على البعض تخيل حجم الكارثة التي يحياها السوري مع كل شمس نهار جديد، فيوميات الحصار أفظع مما قد يصوره العقل، هل فكرت يوماً ماذا يعني أن يوقظك أنين رضيعك يستجدي حليباً يندر إيجاده في الأسواق، أو أن تستفيق على صوت صغيرتك تشتهي طعاماً لا حيلة لك بتأمينه مع ارتفاع الأسعار الجنوني كل يوم؟ ماذا يعني أن تخرج إلى عمل أنت مهدد بخسارته كل صباح، أو أن تخرج باحثاً عن فرصة أخرى تثقل كاهلك لتؤمن شيئاً، أي شيء، يسد رمق الأفواه الفاغرة بانتظارك في الليل أو يكفي لشراء دواء، إن توفَر، لعلاج أم مسنة أو أب متعب؟ هل جربت قضاء 20 ساعة يومياً من غير كهرباء؟ ماذا لو كانت المستشفى التي يرقد فيها عزيز عليك عاجزة عن تأمين وقود يشغل أجهزتها وينفخ الحياة في أروقتها؟

هل تخيلت، ولو لمرة واحدة، كيف لمسكن بارد أنهتكه القذائف والانفجارات، أن يمسي مقبرة لقاطنيه ذات زلزال؟ هكذا رقد الآلاف فجر السادس من شباط في أربع محافظات سورية بالمناسبة، هل يمكن لك، حتى في أفظع تخيلاتك، أن تفكر ماذا بوسع دولة لم



تخرج بعد من ويلات الحرب أن تفعل إزاء كارثة كهذه؟ ستقترح إنقاذ الضحايا في المرتبة الأولى ثم ستفكر في حلول للناجين، أليس كذلك؟ لكنْ ماذا لو عرفت أن لا آليات متوفرة لرفع الأنقاض ولا معدات مناسبة لانتشال العالقين تحت الركام، ولا إمكانية لاستيرادها بسبب الحصار المفروض على سورية منذ سنوات طويلة؟ وأن المستشفيات عاجزة عن تقديم العلاج إذ تعاني نقصاً حاداً في كوادرها وانعداماً شبه تام للنفط ومشتقاته ولا يمكن لها استيراد الأجهزة والمعدات الضرورية، فضلاً عن الأدوية والمواد الأساسية للصناعات الطبية؟ قد يبدو هذا كابوساً حقيقياً، لكنه، في سورية، ليس إلا قدراً يسيراً من يوميات الحصار.

تاريخ من الحصار...

لم يسبق لسورية أن كانت خارج دائرة العقوبات الأمريكية والأوروبية منذ زمن طويل، على الأقل خلال السنوات الأربعين الماضية، إذ لطالما كان الحصار الاقتصادي سلاحاً رئيسياً بيد الغرب لإخضاع الدول المستقلة، يزداد شدة وإيلاماً بازدياد العداء واستعار المواجهة. وفي هذا السياق تدخل أزمة الثمانينيات الخانقة والأزمات الاقتصادية المتلاحقة في بداية الألفينات وحتى عام 2010، إلا أن تأثير تلك الأزمات لم يكن بفظاعة ما عاشه السوريون منذ بداية الحرب على سورية عام 2011 وحتى اليوم، ذلك أن الظروف السياسية في الحقبة السابقة كانت تخضع للمد والجزر، فتشتد تارة، وتلين تارة أخرى، عدا عن العلاقات العربية التي كانت أبوابها مفتوحة، إن صح القول، على دمشق، وليس أخبر من دمشق في اللعب على التناقضات السياسية التي حكمت الخصوم آنذاك.

منذ عام 2011، مع بداية الحرب الصهيو-أمريكية على دمشق، دخل الحصار مرحلة أخرى من الشراسة والقذارة، عبر حزم متنوعة من العقوبات التي تطال كافة مناحي الحياة في البلاد وتهدف إلى تقويض الدولة السورية ومؤسساتها، والمستهدف الأول والأخير هو المواطن السوري في لقمة عيشه بشكل واضح. ورغم اعتقاد الكثيرين أن «قيصر» هو البداية، إلا أن اليوم الأول من الحرب كان اليوم الأول من الحصار، وأخذ يزداد حدة شيئاً فشيئاً، مع قيود مالية مفروضة على التحويلات المصرفية وحصار ازداد إطباقاً على المصرف المركزي السوري كان قد بدأ قبل عام 2011، وعقوبات اقتصادية تمنع الدول من إمداد دمشق بالآليات الثقيلة والتجهيزات التقنية والمعدات الأساسية للصناعة، عدا

عن العقوبات الدبلوماسية التي تعزل دمشق عن محيطها وعن أي صديق محتمل، في حين يدخل حظر تصدير النفط والغاز ومشتقاتهما إلى سورية في خانة العقوبات الأقذر على الدولة السورية وشعبها، إلى أن بلغ الحصار أشده الآن مهدداً بإبادة جماعية للشعب العربي السوري بأكمله.

صبيحة السادس من شباط عام 2023، استفاق الجميع على فاجعة إنسانية هزت العالم، ضرب الزلزال المدمر أربع محافظات سورية شمالية ومرعش ومناطق من لواء إسكندرون السليب، ففاقت أعداد الضحايا مئات الآلاف، بين قتيل وجريح ومفقود تحت الأنقاض. على هول الفاجعة، انبرت الدول لإغاثة تركيا وإمطارها بالمساعدات العاجلة، وكان لها النصيب الأكبر من التعاطف والدعوات والإعانات، في حين كانت سورية تلملم أشلاء ضحاياها بصمت تحت جنح الظلام يسندها بعض من أشقاء عرب ما تأخروا عن الواجب، فحطت، وللمرة الأولى منذ سنوات، طائرات عربية في أراضي الجمهورية العربية السورية حاملة مساعدات عاجلة من أغذية وخيم وبطانيات وأدوية، وفرق إغاثة تتحرق شوقاً لإنقاذ الضحايا، وأبى العراق إلا أن يكسر الحصار بقوافل النفط العاجلة، واعداً بالمزيد، في تحدٍّ شجاع للعقوبات الأمريكية على سورية.

رفع العقوبات أم كسر الحصار؟

أعادت كارثة الزلزال مطلب رفع العقوبات عن سورية إلى المشهد من جديد، واستعادت الجهود المبذولة في هذا الإطار زخمها في الشارع السوري وجزء من الشارع العربي، فكان أن احتلت العقوبات وآثارها على الشعب السوري مكانها في نشرات الأخبار مذكرة الجميع بأن شعباً أنهتكه الحرب ما زال يئن تحت وطأة عقوبات ظالمة وحصار جائر.

لا شك أن أي جهد يصب في اتجاه تخفيف وطأة الحصار عن الشعب السوري هو جهد مشكور وضروري طبعاً، لكن هل المطلوب هو رفع العقوبات أم كسر الحصار؟ لا بد أن نميز بين كل من المصطلحين، لما يترتب على ذلك من نتائج.

يدخل مصطلح «رفع العقوبات» في نطاق قانوني، خاصة عند الحديث عن سورية، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية ومؤسساتها المختلفة هي الطرف الذي يفرض إجراءات وقيود وعقوبات قانونية على مؤسسات وشخصيات سورية و/أو على



كل من يتعامل معها من الدول والأفراد والمؤسسات الأخرى، بما في ذلك الدول العربية التي فرضت بعض أنظمتها عقوباتٍ على سورية التحاقاً بالقرار الغربي.

بهذا المعنى، فإن مطلب رفع العقوبات، موجه بالضرورة إلى الأطراف التي فرضتها، أي الإدارة الأمريكية والمؤسسات الأوروبية الرسمية ومنظمات الأمم المتحدة المنخرطة في العقوبات أيضاً، فضلاً عما يوحي به مصطلح «رفع» من فعل طوعي خاضع لإرادة أصحابه. ولا بد من التنويه أن مطلباً كهذا يتطلب خطاباً خاصاً يراعي حساسيات الغرب ويجاري خطابهم الإنسانوي الليبرالي المصدّر إلى بلادنا، وكأن فيه من يعبأ بإنسانية أو حقوق أصلاً! هذا الخطاب موجه للمنظمات الدولية والأمم المتحدة ومؤسساتها التي شهدت في أروقتها كل الجرائم التي طالت الشعب العربي منذ قرار تقسيم فلسطين، إلى الحصار على العراق إلى تقسيم السودان والعدوان على ليبيا إلى غيرها من جرائم لا تغتفر بحقنا كشعب واحد، ينظرون إليه على أنه من «شعوب العالم الثالث»، فهل يعقل أن نطلب إذن الجلاد للهروب من حبل المشنقة؟ يسعفنا التاريخ العربي بكثير من الأمثلة والشواهد على عبثية مخاطبة الغرب بمنطق استجداء الحقوق، فالحق يؤخذ ولا يعطى، وما تجربة منظمة التحرير الفلسطينية إلا مثالٌ حيٌّ على هذا الوهم، ألا فلنعتبر.

أما مصطلح «كسر الحصار» فيعبر عن مفهوم آخر تماماً، يحمل في طياته فعل إجبار حراً يكسر إرادة أرباب الحصار رغماً، يدرك دعاته أن قرار الحصار أمريكي، لكنهم يؤمنون في الآن عينه أن الإرادة الشعبية الحرة قادرة على كسره وإبطال مفاعيله، عبر الضغط الشعبي على الحكومات والأنظمة المنفذة للحصار. هذا منطق مختلف تماماً يحكم هذا المطلب، منطق يجادل من موقع الند، لا من موقع طالب الحاجة، خطاب يتوجه إلى الشعب، بوصلته واضحة ونتائجه أكثر عنفواناً وفعاليةً في التخفيف من آثار العقوبات. فلنتخيل معاً أن دولة نفطية أو غازية واحدة مثل الجزائر أو مصر قررت كسر الحصار وإرسال قافلة واحدة في مشهد شبيه لما فعله العراق؟ أو أن دولة عربية واحدة أعادت فتح السفارات والعلاقات مع دمشق وسهلت على المواطنين إجراءات التعاملات المالية مع المصارف السورية؟ أي أثر سيكون لذلك على الشعب المحاصر؟



طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023

هكذا يكسر الحصار...

يؤثر حظر النفط والغاز والقيود المفروضة على إرسالهما إلى دمشق بشكل جدي على حياة الأفراد والمؤسسات السورية، مرخياً بظله على مختلف القطاعات الحيوية في البلاد، حيث ينعكس نقص المشتقات النفطية على حالة الكهرباء العامة في كل المحافظات، ويعني بالضرورة أزمة خانقة في قطاع النقل والمواصلات، ويخلف أزمات طبية جسيمة على إثر صعوبة تشغيل المرافق الصحية لتقديم خدماتها الأساسية للمرضى، ولا يقل هذا سوءاً عن التأثير الحاصل على الصناعة السورية، حيث تعتمد كل الصناعات بشكل شبه كامل على النفط ومشتقاته التي يسبب افتقادها شللاً لعجلة الاقتصاد الوطني في البلاد.

أما نقص التجهيزات التقنية والصناعية والطبية فهو الحاجز الآخر الذي يصدم به الواقع السوري في كل مرة يحاول النهوض وتأمين أبسط مقومات الحياة للمواطنين. من هنا، فإن إمداد سورية بأي نوع من هذه المواد المحظورة، مثل النفط والغاز ومشتقاتهما، الآليات الثقيلة والتجهيزات التقنية، بالإضافة إلى تجهيزات المصانع والمشافي والمواد الأولية للصناعات الطبية الأساسية يعني كسراً حقيقياً للحصار ويعود بنتائج إيجابية مباشرة على معيشة المواطن السوري، لكن كيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟

يشكل الفعل السياسي المنظم ضغطاً شعبياً فعالاً على الأنظمة والحكومات العربية المنخرطة في الحصار ومؤسسات النظام الرسمي العربي الفارض للعقوبات، فعندما يتحول كسر الحصار إلى مطلبٍ جماهيريٍ مدعوم بقاعدة شعبية عريضة في الشارع، تصبح المظاهرات والمسيرات والفعاليات وأي جهد داعم لسورية سلاحاً حقيقياً ينبغي تفعيله والاستفادة منه. قلْ كلمة حق، عبرْ عن موقف داعم، نظمْ وقفة احتجاجية، وقعْ عريضة، لكن لا تكف عن الاحتجاج، فقد تساهم في إنقاذ حياة شخص واحد على الأقل.

تدخل الحرب على سورية عامها الثالث عشر وشعبها محاصر من الغريب والقريب، حيث يواجه أكثر من 22 مليون سوري الإبادة الجماعية اليوم بفعل العقوبات الاقتصادية والسياسية الجائرة وتزداد معاناتهم بفعل الحصار الخانق الذي تنفذه الحكومات والأنظمة العربية على مرأى العالم أجمع، ما يجعل المطالبة بكسره حاجة ماسة، أكثر من وقت مضى، ويجعل الوقوف في صف الشقيق، ولو بكلمة، واجباً أخلاقياً وقومياً على كل عربي حر. إنه امتحان العروبة والشرف، فهل من نصير؟



الـدور «الإسرائيـلي» في إنتـاج زيـف الدعايـة الإنسـانية ضـد سـورية

مضر إبراهيم



شكل حدث الزلزال التي وقع في تركيا وسورية فجر السادس من شباط 2023، وخلّف عشرات آلاف الضحايا ومئات آلاف المتضررين والمبعدين عن بيوتهم كارثة لا تزال تداعياتها الإنسانية والاجتماعية والنفسية - والسياسية بطبيعة الحال - تتفاعل حتى الآن. وبينما عبرت أغلب حكومات وشعوب العالم عن التعاطف الإنساني الكبير مع سورية التي تكابد الحصار، والإجراءات القسرية أحادية الجانب، وتبعات حرب إرهابية عليها تشارف الدخول في عامها الثالث عشر، متداعية لإرسال فرق الإنقاذ، والمساعدات الإنسانية الطارئة، بلغ الإحراج ذروته لدى الغرب الجماعي، الذي مثل الزلزال اختباراً كاشفاً لنفاقه الإنساني، والأخلاقي، وحرصه على حياة وحقوق الشعوب.

وفي وقتٍ كانت رسائل التضامن والاتصالات الهاتفية من رؤساء دول وحكومات تتوالى إلى قصر الشعب، في لحظةٍ بدت مناسبة للكثيرين لممارسة «دبلوماسية الكوارث»، والنزول عن شجرة مكابرتهم، قرر الغرب الجماعي خوض «معركة الزلزال» ضد سورية عبر جملة من الإجراءات والسلوكيات السياسية والدعائية المتقنعة بأقنعة «الإنسانية» تجلت بشكل واضح في:

1- الالتفاف على الحرج الإنساني الذي وجد الغرب الجماعي نفسه فيه بعد الزلزال، وهو الذي تعمل آلته الدعائية منذ 21 سنة على تصوير ديستوبيا الواقع في سورية،

وذلك عبر تكتيك دعائي يقوم على التركيز على عبارة «شمال سورية»، أو «سورية» التي يعنى بها شمال سورية، حيث الجولاني والتنظيمات الوظيفية العاملة في خدمة الاستخبارات الغربية، وكذلك المناورة على الضغط الأخلاقي الذي تعرضت لها واشنطن لرفع «العقوبات» عن سورية بتخفيف خلبي وشكلي وإعلامي ليس إلا.

2- حملة دبلوماسية غربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في إطار في مجلس الأمن، توازياً مع حملة دعائية هدفها الأساس إجبار القيادة السورية على القبول بقرار أممي ملزم من قبل مجلس الأمن الدولي بفتح معابر إضافية مع تركيا، تُضاف إلى معبر باب الهوى المفتوح أصلاً، تحت التهديد بالفصل السابع.

3- جهد دعائي يستهدف ضخ الأخبار والإشاعات عن «سرقة المساعدات الإغاثية» في سورية، أو «استخدام الزلزال لتوريد الأسلحة بالطائرات من إيران»، أو «توظيف الزلزال سياسياً لصالح النظام»، وذلك للتقليل من ريع ما يمكن أن تحصل عليه سورية من المساعدات أو التبرعات الخارجية.

4- تنشيط قطعان تنظيم «داعش» الإرهابي الوظيفي في الصحراء، وارتكاب جريمة إرهابية راح ضحيتها 35 سورياً قبل أيام، تزامناً مع توكيل «إسرائيل» بتجديد عدوانها على سورية، للتأكيد أن شيئاً لم يتغير، وأن صيغ معادلات ما قبل الزلزال لا تزال سارية.

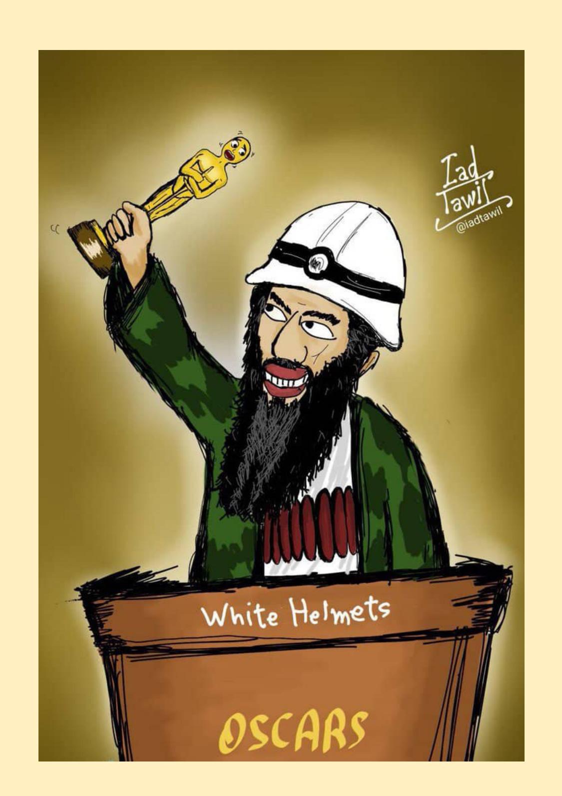
5- إعادة ضخ الدماء في عدد من المنظمات «غير الحكومية» المدعومة من الاستخبارات الغربية التي وصل حالها إلى ما يشبه الموت السريري.

وفي خضم تطور الأحداث وتفاعل الحراك الدولي والتعاطف الإنساني غير المسبوق مع سورية بعد الزلزال، بدت اليافطة الإنسانية هي المدخل الوحيد الذي يمكن النفاذ منه، والتأثير من خلاله في مسار الأحداث التي لم تكن تتطور كما يشتهي الغرب. لذلك، كان من الطبيعي أن يتخذ الغرب الجماعي جملة من الإجراءات والتكتيكات الإنسانية، ليدفع بالمنظمات والمؤسسات والجمعيات التي رعاها ومولها كأذرع «إنسانية» في إطار الحرب الإرهابية على سورية إلى الأمام.

ويفضي رصد ومتابعة الإعلام الغربي ضد سورية إلى أن ثلاث منظمات أساسية على



الأقل، قد احتل اسمها وصور «ملائكتها» وحساباتها البنكية صفحات الجرائد الغربية، وعناوين الأخبار، وحملات التبرع التي نشطت بشكل كبير لضخ ملايين الدولار في عروقها وهي: «الخوذ البيضاء»، «الجمعية الطبية الأمريكية السورية»، «فريق ملهم».



إن التدقيق في الدور «الإسرائيلي» في دعم تلك المنظمات الثلاث يقود إلى حقيقة أن تصريح رئيس وزراء كيان الاحتلال «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو عن استعداد كيانه لتلبية طلبات تقديم المساعدة «الإنسانية» لسورية بعد الزلزال لم يكن مجرد كذب، أو تنطح لدور غير حاصل أساساً، أو لا صدى له على الأرض، ولا مجرد استعداد لاستعادة أدوار سابقة لعبها الكيان المحتل في معالجة مقاتلي «جبهة النصرة»، والتنظيمات الإرهابية، لكنه تعبير عن فعل حقيقي جار على الأرض يكشف عن الدور الصهيوني القذر في تبني تلك الأذرع «الإنسانية»، ودعمها، وتمويلها، والاستثمار بها.

فـ «الخوذ البيضاء»، التنظيم الذي شكله ضابط الاستخبارات البريطاني السابق جيمس لومزرييه في تركيا عام 2013 ليكون فريق إنقاذ «داعش»، و«جبهة النصرة»، وقدمه الغرب كمؤسسة «إنسانية» «إغاثية» «غير منحازة» «غير مسلحة»، وضخ في عروقها ملايين الدولارت، تم إجلاؤها بعد تحرير الغوطة الشرقية ربيع 2018 عبر حافلات الكيان الصهيوني إلى كندا، ضمن عملية سميت «السجادة السحرية Magic Carpet» حسب صحيفة «ديلي ميل» البريطانية. و«السجادة السحرية» للمفارقة هي ذات العملية التي اختلس فيها لومزرييه مبلغ 42 ألف جنيهٍ استرليني من أموال منظمة Mayday الممولة لـ «الخوذ البيضاء»، ليطلب من رائد الصالح مدير «الخوذ البيضاء» تزوير وصولات مالية بغية تغطية اختلاسه، بعد أن تعرض للابتزاز بفضحه من مديره المالي في Mayday، ولينتهي به المطاف منتحراً في تشرين الثاني 2019 في شقة يسكنها في تركيا.

كما يفضي التدقيق في ما يسمى «الجمعية الطبية الأمريكية السورية SAMS»، المنظمة التي سبق أن تبنتها منظمة حظر انتشار الأسلحة الكيميائية OPCW إلى جانب «الخوذ البيضاء» كجامعي عينات، وفرق تحليل وفحص، ومصادر مفتوحة للأخبار في تقريرها حول حادثة كيميائي خان شيخون المزعومة 2017، إلى فضائح يندى لها الجبين. وإن نظرة إلى علاقات هذه الجمعية ونشاط قياداتها في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنهم الطبيب زاهر سحلول، والطبيب شادي مارتيني، وتنسيقهم العلني والمنشور مع سلطات الكيان الصهيوني، ومنظمات اللوبي اليهودي في شيكاغو كمنظمة JUF، تبرهن مرة أخرى على مدى ارتباط هذه الجمعية العاملة في الحقل «الطبي الإغاثي الإنساني» مع الكيان الصهيوني من جهة، ومع الإرهاب الوظيفي المتطرف وشاهده الأساس تلقي الجمعية مساعدات مالية وعينية من «سفن لاو»، أخطر إرهابي ألماني الذي يقضي حكماً بالسجن خمس سنوات ونصف السنة في ألمانيا بتهمة دعم الإرهاب.

أما «فريق ملهم»، المتسربل اسمه في أوساط ناشطي ما يسمى «المعارضة» السورية أنفسهم بفضائح سرقة ملايين الدولارات من التبرعات المقدمة من دافعي الضرائب في الغرب والدول الخليجية الداعمة للمشروع الأطلسي في سورية، فإن إعادة إحيائه، وإضفاء الموثوقية على نشاطه من قبل جامعتي أوكسفورد في بريطانيا، وروتردام، اللتين قدمتاه و«الخوذ البيضاء» كـ«جهات موثوقة للتبرع»، ما هو في واقع الحال إلا جهد إضافي للجهد الذي يقوم به كيان الاحتلال «الإسرائيلي» في دعم هذا الفريق، والمتمثل بفتح حساب بنكي له، وتقديم تسهيلات مصرفية في أضخم بنك في «تل أبيب» وهو بنك «هبوعليم»، أكثر بنوك كيان الاحتلال «الإسرائيلي» نشاطاً في بناء المستوطنات الصهيونية، ومشاريع توربينات الرياح في الجولان العربي السوري المحتل، وهو دليل واضح على توغل ذراع الكيان «الإسرائيلي» في هذه الجمعيات والفرق والمنظمات العاملة تحت اليافطة الإنسانية، كمشروع ميت يتم العمل على إعادة إحيائه بعد الزلزال.

لقد شكلت كارثة الزلزال الإنسانية بحق مفصلاً مهماً في تحول فلسفة الدعاية الغربية التي يمارسها الغرب الجماعي إلى استعادة نغمة سابقة تشي بلغة الحرب الأولى ضد سورية تحت اليافطة الإنسانية مرة أخرى، وذلك بعد تكشف الكثير من الفضائح والقصص الدعائية الإعلامية التي حاكها الغرب، من فضيحة كلاس ريتليوس صحفي «دير شبيغل



الألمانية» الذي كان يصوغ «القصص» الدعائية عن الأطفال في سورية من خياله، إلى فضيحة «مهرب الدمى» رامي أدهم الذي تمت محاكمته أمام القضاء الفنلندي، بعد انكشاف فبركته المسرحيات والقصص التي تزيد في حجم التبرعات في فنلندا لصالح أطفال سورية، وسرقة مئات آلاف الدولارات منها، إلى فضيحة الطفل عمران، إلى الفضيحة الكبرى التي دفعت الاستخبارات الألمانية إلى قتل الإرهابي خالد البكر في سجونها، بعد اعتقاله على خلفيات اتهامات له بالتخطيط لتفجيرات برلين، وانفضاح انتمائه لـ «الخوذ البيضاء»، المنظمة المدعومة من الحكومة الألمانية بـ 17 مليون دولار قبل أعوام فقط، إلى فضيحة تمويل ودعم الحكومة الهولندية لـ 22 منظمة إرهابية في سورية عبر برنامج «مساعدات غير فتاكة» NLA، بعضها كمنظمة «الجبهة الشامية» مصنفة «إرهابية» في هولندا نفسه، إلى فضيحة بريطانيا في إسقاط محاكمة إرهابي سويدي من أصل فيلبيني اسمه بيهرلين غيلدو أوقف في مطار هيثرو ببريطانيا خلال عودته إلى السويد بمساعدة السطات السويدية بعد أن انضم إلى تنظيم «كتائب المهاجرين» الإرهابي في سورية، وذلك بسبب انفضاح قتاله تحت ألوية ما تدعمه الحكومة البريطانية عبر برامج دعمها لـ «المعارضة المعتدلة». كما أوردت «الغارديان»، و«ديلي ميل»، و «التايمز»، و «التيلغراف» ومساءلة برلمانية عن الموضوع، إلى فضيحة دعم الحكومات الغربية تسفير الجهاديين الإرهابيين إلى سورية بشكل رسمي، ومنهم الإرهابي أ. من ولاية كيمنتس، بسلوك وصفته النائبة الألمانية مارغريته باوزه (حزب «الخضر») في بريد الإلكتروني إلى كاتب هذه المقال بأنها «تصدير للموت Todexport»، إلى عشرات الفضائح الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها وتعدادها كلها.

لقد كانت آثار المأساة الإنسانية التي خلفها الزلازل كبيرة ومحزنة بحجم وعدد الضحايا الذين طالتهم الكارثة، لكن مفردة «الإنسانية» التي ابتدع لها الغرب الاستعماري، بأذرعه الخشنة والناعمة، حروباً أسماها «الحروب الإنسانية»، ومبادئ تدخلية باسم الإنسان و«حقوق الإنسان» و«مسؤولية حماية الإنسان» تبدو اليوم الضحية الأكبر من ضحايا الزلزال. وباستثناء مفردتي «الحرية» و«الديمقراطية»، لم يحصل عبر التاريخ الحديث أن امتهنت كلمة أو مفردة أو شعار كما تمتهن اليوم مفردة «الإنسانية».

نحن هنا... وأحياءٌ كما تقول لوائح الضحايا

سارة سلوم



لم تكن ليلة السادس من شباط هذا العام، عاديةً بالنسبة لي، أنا التي غفوت على سعادة لم أشعر مثلها من قبل، لأنني أعددت وصوّرت أول تقرير تلفزيوني في حياتي المهنية، قيل لي إنه رائع جداً وأنني نواة صحفية حقيقية.

لم أكن أريد أكثر من ذلك، لكن على ما يبدو أن الحياة التي كدت أظنها بدأت تطبطب علي وتقدم لي خيارات الاستمرار بشكل أفضل، قد غيّرت رأيها في اللحظة الأخيرة.

فجرُ تلك الليلة، اهتزّت الأرض تحتنا، واهتز معها كل شيء. حتى أنني لا أرغب تذكر تلك الثواني التي تجاوزت الثمانين، ولا حتى الساعات الأولى التي غادرت بعدها إلى آخر مكان كنت أرغب بالتواجد فيه على الإطلاق، مستشفى تشرين الجامعي، بناءً على رغبة أخي، الذي كان مناوباً بحكم طبيعة عمله كطبيب، قائلاً لي: «هنا آمن».

جلست في البهو الرئيسي أشحن هاتفي، وأستقبل اتصالات الأصدقاء ورسائلهم التي انهمرت من كل مكان، ماذا بوسعي أن أجيب أنا التي « لا تتوقف عن الكلام» حسب وصفهم؟!.

لم أجد سوى كلمة «بخير» كجواب غير صادق ريثما أستعيد توازني.

لم أستطع أن أصم أذني عن صوت الموظف المسؤول، الذي ارتفع صوته عبر مكبرات الصوت في المستشفى «الرجاء التبرع بالدم من كافة الزمر»، «الرجاء من رؤساء

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــ 86 ـــدد
01 آذار 2023



الشعب جلب جميع النقالات إلى الإسعاف». خرجت لأستطلع الأمر، فرأيت المئات من مرافقي المرضى المتجمهرين، الصراخ والدماء في كل مكان، عندها أيقنت أن الأمر لن يقف عند هذا الحدّ.

عقارب الساعة تمشي، وبينما كانت تزداد معها أرقام الضحايا والجرحى والبيوت المدمرة والعائلات التي ترزح تحت الأنقاض، كان الإعلام العالمي والعربي، لا يركّز سوى على تركيا وما يسميه «الشمال السوري المحرر».

في الوقت نفسه، بدأت تنتشر على مواقع التواصل الاجتماعي صورة لخريطة سورية، تجاورها تركيا التي تزدحم أجواؤها بطائرات المساعدات التي أتت من كل حدب وصوب، بينما تفرغ سماء بلادي إلا من عدة طائرات للحلفاء.

إنها بلاد تبكي بلا صوت وبلا دمع، تضع يدها على فمها كي لا يسمع أحد صوت الشهقة، إنها بلاد تئن بلا ضجيج وهذا أقصى الألم.

أرفق الكثيرون مع الصورة بيت الشعر القائل: «كم كنت وحيداً يا ابن أمي!»، لكن بالنسبة لي لم يخطر في بالي سوى كلام الرئيس الأسد عام 2017 حين قال: «خطؤنا الوحيد أننا صدقنا أن الغرب يملك قيماً»، وهذا بالتحديد ما أثبتته الكارثة، فبدلاً من ممارسة دبلوماسية الكوارث، استغلت الولايات المتحدة ومن خلفها الغرب الفرصة، فعمدوا إلى إعادة ترويج الكذبة نفسها التي خلقوها في أزمة كورونا عبر تويتر، والقائلة أن سورية طلبت مساعدة من الكيان الصـ.هـ.ـيوني المؤقت، لا بل عمدوا إلى التركيز على الشمال السوري، وإعادة تلميع المنظمات غير الحكومية العاملة هناك، وأبرزها الوجه التجميلي لـ«جبهة النصـ.ـرة»، المسماة بـ«الخوذ البيضاء»، التي جمعت ملايين الدولارات من التبرعات التي قدمها أغلب الناس مندفعين وراء عواطفهم الصادقة والنبيلة، غير العارفين أنها تمر عبر البنوك «الإسرائيلية».

كما تمت إعادة تنشيط الضربات «الإسرائيلية»، على المطارات أو قربها، مع تواتر وصول الطائرات التي تحمل مساعدات إلى دمشق أو الزوار السياسيين.

أن يحدث زلزال في أي بلاد، سوف يخلف أضراراً جسدية ونفسية مهولة، فكيف ببلادٍ

يضربها زلزال بقوة 7.6 درجات على مقياس ريختر، وهي تعيش حرباً منذ 12 عاماً، ويقع أكثر من 90% من شعبها تحت خط الفقر، عند الساعة الرابعة فجراً، خلال شتاء قارس وسط انعدام الوقود والكهرباء؟!

وصف الكثيرون ما حدث، لكن ما أثر بي شخصياً حديث قائد فوج إطفاء اللاذقية معي قائلاً إن «العقوبات الظالمة على سورية ساهمت بصورة مباشرة في ازدياد عدد ضحايا الزلزال، بسبب عدم القدرة على تأمين الآليات والمعدات الحديثة المستخدمة في مثل هذه الحالات. نحن قمنا بواجبنا على أكمل وجه، بحسب الإمكانات المتوافرة لدينا، لكننا للأسف استغرقنا وقتاً مضاعفاً، لأننا لا نملك كاميرات كشف عن الضحايا، ولا معدات ثقيلة، ولا عدد آليات كافياً، بينما لو كانت هذه المعطيات متوافرة، لاستطعنا إنقاذ أرواح أكثر».

كما شعرت بالعجز والحزن الشديدين، أمام ما قاله لي السيد محمد وهو رجل أربعيني من قرية اسطامو في ريف اللاذقية عن انتظارهم عدة ساعات كي تصل فرق الإنقاذ، قام خلالها الأهالي، عبر استخدام الأيادي والأدوات التقليدية، بإزالة ما استطاعوا إزالته من الأنقاض ومحاولة إنقاذ عوائلهم وجيرانهم، مستنكراً الحال التي وصلت إليه سورية اليوم مستذكراً الإمكانات الهائلة التي كانت تملكها البلاد قبل الحرب، وكيف كانت ترسل المساعدات والمعدات إلى الدول المنكوبة حول العالم، حين كانت تتعرض لمثل هذه الكوارث، مثل الهند وباكستان وإندونيسيا وإيران.

شاهدت اللاذقية كما لم أشاهدها من قبل: وجوه خائفة، أناس يفترشون الحدائق والشوارع صغاراً وكباراً، أصوات سيارات الإسعاف تملأ المكان، ازدحام كبير وحركة نزوح جماعي من المدينة إلى الريف.

زرت الكثير من مراكز إيواء النازحين، لكن شعوراً مختلفاً انتابني، حين زرت مركز إيواء المدينة الرياضية، الذي استضاف أهلنا من حلب سابقاً.

تحدثت هناك إلى الكثير من العائلات التي نزح أغلبها مرتين، ولعبت مع الأطفال الذين يحسب أغلبهم أنها «رحلة» جديدة، كما لا أخفي أن عدد المتسربين من المدارس أدهشني.



شهدت العديد من الناس ذوي الأحوال المادية العادية، الذين قطعوا عن أنفسهم ما تسنى لهم من طعامهم وثيابهم وقدموهم للناس المتضررة باليد.

راقبت وصول المساعدات الإنسانية، وتدفقها بكل أمانة في المراكز التي زرتها، وهنا أتحدث عما رأيت لا عما قد يصفه البعض «بتطبيل للحكومة»، ليس إشادة بها بطبيعة الحال، لكن دحضاً للبروباغندا التي روجها المستغلون والمتآمرون حول ما أسموه «سرقة المساعدات» لتثبيط عزيمة الناس وإحباط همتها.

مع الأسف انجرّ كثيرون وراء سؤال ملغوم: «أين تذهب المساعدات؟»، لكنهم يقيسون إجابته على مصروفهم اليومي. في الواقع مهما وصفنا الحال لا يمكن أن نجيد نقل صورة الكارثة وحجمها. الناس بحاجة جداً، ومهما قلنا إنهم بحاجة، فهم بحاجة أكثر. المساعدات التي تصل أغلبها استهلاكية وتنفذ بسرعة، كالمعلبات وحليب الأطفال والحفاضات، فما الذي تكفيه شاحنة محملة بالأطنان لمركز كبير يضم 4000 شخص مثلاً؟ وقيسوا ذلك على حاجات قرى وأحياء متضررة بأكملها.

من ناحية أخرى، لاحظ بعض الناس اهتماماً بمراكز وعدم الاهتمام أصلاً بمراكز أخرى، (من المبادرات الأهلية)، وهم محقون بالطبع، فنحن لا يوجد لدينا فرق متمرسة في إدارة الكوارث، فواجهنا عدم توازن في توزيع الجهد المبذول، لأن كل المستجيبين توجهوا إلى أقرب مركز بالنسبة لهم، ما أدى إلى وصول التبرعات عدة مرات في اليوم في أحد المراكز مقارنةً بصفر استجابة في المراكز الأخرى الأبعد.

يعتقد كل من هو خارج سورية، أن الناس المتضررين من الزلزال في الداخل هم فقط من بحاجة إلى مساعدة، لكنّ الواقع يشير عكس ذلك، فمظاهر الناس المتجمهرة حول مراكز الإيواء أو عند باب المرفأ، والملاقية لقوافل المساعدات، مستجدية سلة غذائية أو اسفنجة وبطانية، تتحدث بشكل صريح عن الحال الذي يتجاهله الكثيرون.

رافقت الكثيرين من الأخوة العرب، الذين أتوا مع قوافل المساعدات، لكن ما آلمني حقاً هو نظرة الاستغراب المشتركة بينهم جميعاً، وعبارة واحدة قالوها بلهجاتهم المختلفة، فحواها: «لم نكن نتوقع أن وضع الناس في سورية وصل إلى هذا النحو».

هؤلاء أهلنا وجيراننا ومن وقفوا إلى جانبنا، فكيف بالشعوب في البلدان الأبعد إذن؟!

هذا يدعونا إلى مراجعة طويلة حول إيصال الصورة.

شكراً لكل من وقف إلى جانب سورية وشعبها المنكوب، لا نبخس حقّ أحد، لكن اليمنيين تحديداً أبكوني. كيف لشعبٍ محاصرٍ مثلنا، ومكلومٍ مثلنا، أن يؤثر الوقوف إلى جانبنا رغم آلامه وأحقية أبنائه بهذه المواد؟! نحبكم يا أهلنا اليمنيين المنتصرين على قوى العدوان.

وكيف بوسعي أن أصف كرم العراقيين، الذين فاض نهرهم الثالث؟ أينما توجهت أرى قوافلهم واستشهادييهم الذين أوصلوا النفط وتحدوا تهديد أميركا، أينما ذهبت أسمعهم يقولون «تتدللون يا أهل سورية».

أما فلسطين المقدسة، قلبي ونهجي وبوصلتي، لا يمكنني أن أصف الأثر الذي تركته مساعداتها في نفوسنا، لكن يمكنني أن أنقل ما قاله أحد الرجال المنكوبين، حين رأى اسم فلسطين على أحد الصناديق الإغاثية:

«المساعدات اللي وصلتنا من فلسطين كبيرة كتير كتير كتير... لأنو فلسطين بقلبنا من يوم ما خلقنا».

كثيراً ما كنت أتعرض للسخرية اللطيفة في أحاديثي الخاصة مع أصدقائي، لإيماني بحقيقة أسطورة «طائر الفينيق»، أشعر بشعور أفضل الآن، إذ أثبتت هذه الكارثة صحة ما أؤمن به.

لم أر يوماً المجتمع السوري متكافلاً ومتعاضداً كما رأيته منذ اللحظة الأولى ما بعد الزلزال.

لا أعرف كيف أصبحت فجأة عضوة في أكثر من 35 مجموعة على الواتساب، تعمل بلا كلل أو ملل، على جمع بيانات المحتاجين وربطها بالمتبرعين.

لا أعرف كيف تحولت صفحات الفيسبوك، إلى منبرٍ لشحذ الهمم، وصلةِ وصلٍ لإيصال المساعدات إلى مستحقيها.

شعرت بالفخر حين رأيت الفرق التطوعية تجمع نفسها من جديد، وتتوجه إلى مراكز



الإيواء للمساعدة في كل ما أمكنه أن يؤمن الراحة للناس، وتقديم الدعم النفسي للأطفال خصيصاً.

الأطباء أيضاً الذين شكلوا نقاطاً طبية تطوعية لتقديم المعاينات والأدوية المجانية.

الأهالي الذين فتحوا بيوتهم غير المتضررة لاستقبال عائلات لا يعرفونها، أبرزهم أم عامر التي التقيت بها في بيتها بحي العسالية بجبلة، قالت لي: «حالتي المادية صعبة، وليس بإمكاني تقديم أكثر من بيتي المتواضع الذي يضم الآن سبع عائلات متضررة، فبيت الضيق يتسع لألف صديق».

أما نورا محفوض، السيدة المصابة بمرض مناعي مزمن أعاقها عن الحركة بشكل طبيعي، حولت حلم عمرها، الروضة التي تمتلكها إلى مركز لإيواء العائلات النازحة.

من يصدق أن نورا تنتظر 4 ساعات يومياً في الكراج لتجد وسيلة نقل ذهاباً وإياباً كي تصل كل يوم إلى المركز؟

وللطبخ حكاية أخرى، لم يقبل شباب اللاذقية أن ينام أهلهم وإخوتهم جائعين، فتباروا في تحويل أماكنهم ومقاهيهم إلى مطابخ أمّها المتطوعون من كل حدب وصوب، إما لتقديم المواد الغذائية أو المساعدة في الطهي.

يصعب علي وصف حبي لأهل مدينتي جميعاً، أنا الموقنة بأن لا شيء يبقى كما هو، فكل الدول مرت بمراحل انحدار وكوارث وأزمات اقتصادية ومجتمعية مختلفة، لكنها في النهاية تجاوزتها، ونحن سنفعل ذلك أيضاً.

كل شخص قام بواجبه بكل طاقته ومجموع هذه الطاقات صب في مكان واحد، مجتمعنا، والنتيجة كانت تحقيق أكبر أثر، حتى أكبر من أثر الزلزال، بشهادة المتطوعين والمنكوبين.. والعالم.

منذ 6 شباط وكل ليلة قبل أن أنام أقول لنفسي:

هل سمعتِ قصص الضحايا؟ سمعتُها.

هل حفظتِها؟ حفظتُها.



هل سأنساها؟ أبداً، لو مرّ فوقي ألف غيرها.

هل شعرتِ بالخجل؟ نعم، يغمر روحي من اللحظة الأولى حتى غطى على الشكر والامتنان.

الصفحة الثقافية 1: بإبرة ذهبية

نهلة سوسو



كان الناقد العربي المصري منصرفاً بكل حواسه إلى حديثي مع رئيس المكتب الصحفي لمهرجان السينما في بهو الفندق المكتظ بالزوار والفنانين والإعلاميين وعلى قسمات وجهه حيرة وأسئلة بادرني بها فور توجهي إليه: - بأي لهجة كان يحدّثك؟ - باللهجة الديريّة! هذا الصّديق من مدينة «دير الزّور» الواقعة على نهر الفرات في أقصى الشمال الشرقي من سورية. تلبّث الناقد على ابتسامة: - عليّ أن أحاول فهمَ فروق النغمات بينك وبينه، ألأنه من ضفاف «الفرات» اختلف عنك وأنت من ضفاف بردى؟ قلت له: أنا من ضفاف «العاصي» وستجد فرقاً في لهجتي وبين من يساكن ضفاف «بردى» أيضاً! أنتم في مصر لديكم لهجتان: «قِبْلي» و«بَحري»، أما في سورية فستعوم في عشرات اللهجات، وكلُّ لهجة لها ألحان تتكئ على أحد حروف اللغة: الألف التي تُرقّق أو تُفخّم أو تنحني أو تُطلق على هواها، والقاف المشبعة أو المُبعَدة وراء همزة، والواو التي تطول أو تقصر مثل التنهيدة أو الزّفير رغم أن الكلمات هي نفسها في تراكيب التواصل والكلام!

لم يكن الوقت متاحاً لأُسْمِعَ الناقدَ المصري التنوُّعَ في لهجات أهل دمشق ذاتها: الشاغوري، والميداني، والصالحاني، وهم أهل أحياءٍ متجاورة لم ينقطع بينهم التلاقي ولا تُغلَق أبواب مكذوبة بين أزقّتهم، فكيف إذا انتقل الجائلُ الجوّال إلى ريفها القريب من حَبلِ وَتينِها ومرّ بـ«دوما» و«حرستا» و«عربين» و«داريا» وفي كلّ منها لهجة تخصّها، ثم مضى إلى «الزبداني» و«سرغايا» في الغرب، قبل أن يحطّ الرحال في القلمون في الشمال القريب، حيث سيجد «شعوباً» تتحدّث بلغات وليس مجرد لهجات: «يبرود». «النبك». «دير عطية». «السّحل». «قارة». إنها الأوركسترا التي لا تُعدّ آلاتها وقال فيها الباحثون بتبسيط شديد هي نتاجُ بقايا «الآراميّة» التي كانت قبل «التعريب»! وأيُّ قول هذا إذا رأينا الأزياء الشائعة في الأرياف والمدن؟ ففي «المليحة» إحدى قرى الغوطة الدمشقية تلبس المرأة لباساً يشبه لباس الأفارقة من سروالٍ وغطاء سابغ مخطط، وفي «دير عطية» تضع على رأسها الشال الإسباني الأسود المخرّم، وفي الجزيرة السورية تلبس الثوب السابغ المطرّز وتتجمّل بصفوف الليرات الذهبية المتراصفة، وفي حوران يعتمر رأسها بالعِمّة ويستتر بدنُها بالجلباب الأسود الطويل!

في الاحتفالات الرسمية والمهرجانات ليس للسوري لباس تقليدي واحد يدلُّ على الهوية، حالَ المغرب الشقيق و«البرنس»، وحال مصر و«الجلابية»، وحال اليمني و«الخنجر»

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023



على الوسط، بل هناك عشرات الأزياء التي تتنافس على المسرح، حيث تلاشى الطربوش العثماني تماماً ونهضت الأزياء المطوية من صناديق التاريخ بكل أقمشتها التي حيكت من صوف وقطن وكتان وحرير، ويا لروعة التطريز الذي عاد معها، هو الآخر مزيجُ ألحان الأوركسترا نفسها التي تنشد اللهجات، وقد تكون جذوره هناك، في النّوْل الذي اخترعه السوري لينسج ملابسه ومُلاءاته وستائره، ثم ساهَر النساءَ في الليالي وطاع لهن ولأناملهن ودرّب أرواحهن على ابتداع أغاني «المهد» وانتظار الغائب وانبلاج الفجر وصحوة الأحباب على الرغيف الساخن!

في العمران لا يسود أيضاً النمط الواحد إلا في قرية منفصلة عن غيرها في الجغرافيا أو في حيٍّ مستحدَث، فحال «معلولا» التي انتَزَعت من الجبال الصماء غرفاً وشرفات ونوافذ، لا يشبه قطّ قرية «الشيخ هلال» الجاثمة في سهوب البادية بجوار طريق «الرقة» من «سلمية»، وهناك لا أديرة ولا كنائس ولا أجراس توقظ حتى الغافي في مغاور الجبال بل تلٌّ أثريٌّ يشير إلى أطلال بلدة بيزنطية ظلت مزدهرة حتى القرن التاسع الميلادي وقد داهمتها فيما بعد الغزوات المغولية في القرن الرابع عشر، أما اليوم فهي معمورة بمزارعين بنوا بيوتهم بسقوف مخروطية مقبَّبة، وكل مداميكها من الطين والقش الذي سيحضن خشبَ الأبواب والشبابيك، أما في الساحل وجباله فبيوت بلا أسوار، عتباتها تفضي مباشرة إلى الحواكير لتكون العتبةُ متاحةً للزائر بلا فترة انتظار والشجرة متاحة ليد صاحب البيت تقطف التين والزيتون وتوتَ العليق في كل وقت. كذلك بيت المدن القديمة ذو السور الأصمّ الذي لا يفصح عن رفاهية أهله في الداخل ولا عن الفردوس المقام فيه، من بركة بنافورة وعرائش، ومن هذا التفصيل نتذكر أن دمشق، وحدَها، دون مدنٍ سورية أخرى نُسبت إلى الياسمين أو نُسب الياسمين إليها، لأننا سنجد عطوراً تختص بها المناطقُ الأخرى غير العاصمة، فالوردة الشامية التي تمد العطور الفرنسية برحيقها هي في قرية «المراح» القلمونية، والغار هو عطرُ جبال الساحل ومصانعِ حلب والشّيح والبابونج والكمون واليانسون والزوفا هو للبراري الشاسعة المترامية في البلاد ومنها تفرّدت بمشروب «الزّهورات» لتضاهي القهوة البرازيلية والشاي السيلاني والمتّة الأرجنتينية!

يستسهل الباحثون استخدام النظريات حين يتناولون بعض المسائل، فلا يستحضرون تاريخ



سورية كما يجب، ويجذبون الخيط مباشرة من العصر الآرامي إلى العصر الراهن، فيغيب عنهم أن هذه البقعة من الأرض مرّت بها كل أشكال الغزو القديم والحديث وأنها كانت مطمعاً لكل تواق إلى الفردوس الأرضي كما رُسم في الآخرة بالكتب السماوية، فجاءها إما بالسيف وإما بالإغواء، وبعضه حسب نفسه مؤبّداً فيها فبنى المعابد والقلاع والمسارح وشق أقنية الماء وصكّ النقود وفرض اللغات، ثم رحل إلى غير عودة، وبعضهم عبر بجحافله ودمّر كلّ الحواضر وبقيت نيران حرائقه مشتعلة لا تخمد ثلاثة شهور، وقبل ختامهم، ولن يتوقفوا، جاءها محتلٌّ سلاحه الأخطر لم يكن السيف والخازوق فحسب، بل التجهيل وإغلاق المدارس وترسيب اللغة القومية في مناقع تشبه الملاحات حتى لا تكون روحاً حية تبعث البدن العليل إلى الحياة، وفات هؤلاء الباحثين أيضاً أن زواراً أتوها بالتزامن مع جحافل الغزاة، ليصبحوا من أهلها وأصداء أرواحهم، مثل «محي الدين بن عربي» و«الفارابي» و السيدة «زينب» و«صلاح الدين الأيوبي» و«الظاهر بيبرس» وبعد كل هذا هي من البلاد النادرة التي تعرف الفصول الأربعة فيزرع فيها القمح في موسم يتمُّه قبل الحصاد ويذوب الثلج عن ترابها لتمرع بشقائق النعمان! هي البحر والسهل والجبل والأنهار والغابات وحتى الصحراء لم تغب عنها لكنها رقّقَتها وجعلتها بادية بواحات نخيل وعطر «البطم»! إنها جغرافية الكوكب بأسره، وتاريخ الإنسانية جمعاء، مكتوباً بكل اللغات الحية والميتة، وقد كانت أم اللغات حين اخترعت الأبجدية وأهدتها للبشرية، وكلّ من غزاها بقوة السلاح خرج منها وهو متأثر بروحها ولم يستطع نفضَ غبار طَلَعِها عن أصابعه وملابسه، ولا روائحِ معاصر زيتونها وخوابي نبيذها من أطباقه ومطابخه!

تتأمل العينُ هذه الأرض في تكويناتها العربية النهائية اليوم من دون أن تزيل صفتها الكنعانية التي إن قرئت «لآلئُها» لوصلت إلى الأفهام فرادتُها وعظمتها الروحية والأخلاقية في التعامل مع «الآخر»، تتأمل العينُ فترى فصلاً جديداً من هجوم التتار الذين جاؤوا هذه المرة فوجاً واحداً يرطنون بكل اللغات الغريبة التي هاجت عبر تاريخها: من آسيا وأوروبا والشمال والجنوب، يمزقون أرضها ويتموضعون تحت الشجر وبين الرمال وفي ذرات الضباب ويندسون في كلمات الأذان والأحاديث النبوية الشريفة ويسرقون من القواميس كلمات: «الاستبداد» و«الديكتاتورية» و«الديمقراطية» و«التوريث»، ودفعاً لهذه



طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

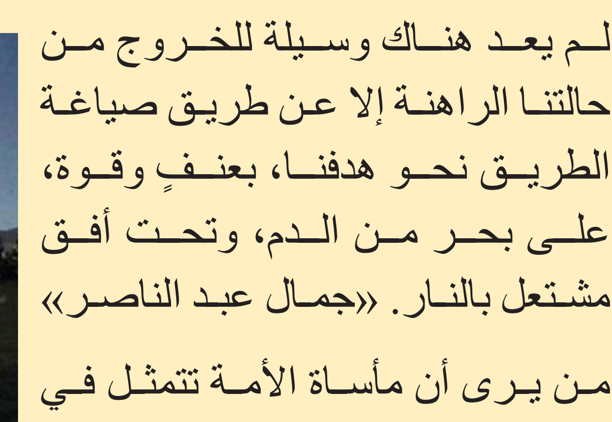
عـــــدد 86

01 آذار 2023

الجحافل تراصفت مثاوي الشهداء وأمرع التراب بشقائق النعمان وغدت الملاحم الخالدة شاحبةً أمام ملاحم السوري العادي البسيط الذي صنع جمال الكون وقام ليدافع عن هذا الجمال حتى بدمه، وليواصل، كما هو قدَرُه، إكمالَ «كتابِه» بإبرة من ذهب، وهي ذات الإبرة التي وجدها بين يديه حين نسج أزياءه، ولهجاته، وعمرانه، وأحقاب تاريخه في الحرب والسلام!

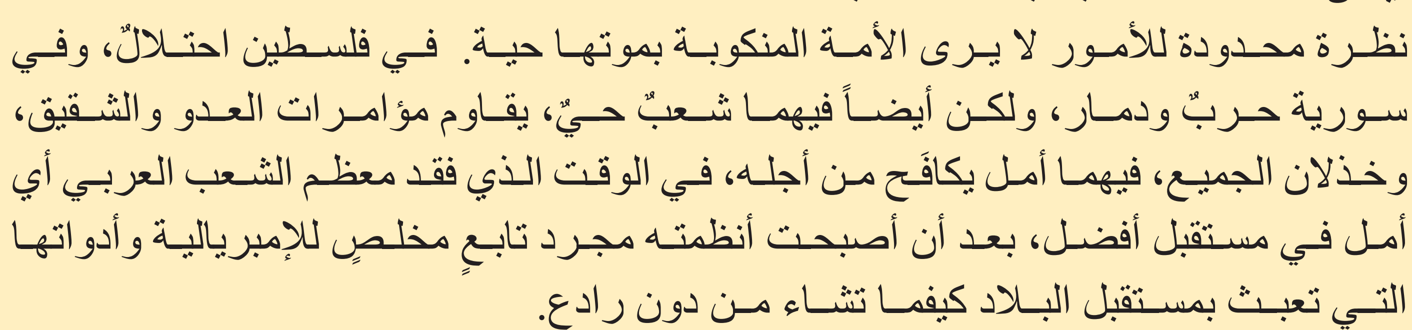
سورية وفلسطين: أحرار في أمة منكوبة

كريمة الروبي



لم يعد هناك وسيلة للخروج من حالتنا الراهنة إلا عن طريق صياغة الطريق نحو هدفنا، بعنفٍ وقوة، على بحر من الدم، وتحت أفق مشتعل بالنار. «جمال عبد الناصر»

من يرى أن مأساة الأمة تتمثل في احتلال فلسطين وتدمير سورية، ليس مخطئاً فحسب، بل صاحب نظرة محدودة للأمور لا يرى الأمة المنكوبة بموتها حية. في فلسطين احتلالٌ، وفي سورية حربٌ ودمار، ولكن أيضاً فيهما شعبٌ حيٌ، يقاوم مؤامرات العدو والشقيق، وخذلان الجميع، فيهما أمل يكافَح من أجله، في الوقت الذي فقد معظم الشعب العربي أي أمل في مستقبل أفضل، بعد أن أصبحت أنظمته مجرد تابعٍ مخلصٍ للإمبريالية وأدواتها التي تعبث بمستقبل البلاد كيفما تشاء من دون رادع.



في فلسطين أسودٌ يردون الصاع صاعين للعدو، لا تكاد تهدأ انتفاضة حتى تشتعل أخرى، من انتفاضة الحجارة إلى انتفاضة الأقصى ثم انتفاضة السكاكين ويتخللها جميعاً عمليات فدائية هنا وهناك، إلى اشتعال الأرض في معركة «سيف القدس» التي رأينا فيها «تل



أبيب» لأول مرة وهي تحترق، وشاهدنا الشباب من أراضي فلسطين التاريخية ينتفضون ضد العدو مؤكدين على أنهم أقوى من أي محاولة لأسرلتهم أو طمس هويتهم العربية الفلسطينية، وها هم عرين الأسود يشعلون الأرض مرة أخرى بعمليات شبه يومية ضد العدو في كل مكان، وما إن يستشهد منهم شهيدٌ حتى يلتحق بهم العشرات، في فلسطين فتى دون سن الثالثَ عشرة يقوم بعملية فدائية، في فلسطين حياة وأمل وانتصار حتماً سيتوج بالتحرير.

في سورية، مؤامرة دولية لتفتيتها وما الحصار إلا استكمالٌ لتلك المؤامرة، ولكنها تقاوم وترفض الاستسلام، نعم، هي بلد منكوبة بالحرب والحصار والزلزال لكنها ما زالت تمتلك قرارها، وتدرك جيداً أن ثمن الكرامة والحرية فادح، لكن ثمن الذل أفدح كما قال الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، الذي ما زال حياً في سورية، وما زالت أفكاره وتوجهاته قائمة هناك، وهذا هو بالتحديد سبب كل هذا الحقد الغربي والصهيوني تجاه سورية، سورية العروبة الرافضة لكل محاولات تركيعها وإلحاقها بركب المنبطحين ولكنها بقيت على عهدها ولم تساوم على عروبتها، فاستحقت وصف الزعيم لها « قلب العروبة النابض».

إن بقاء سورية متمسكة بعروبتها لهو انتصارٌ مهما كانت التضحيات، أولم يدفع المنبطحون أثماناً فادحة لهوانهم؟ هل تعيش شعوب تلك الدول حياة رائعة بعد أن أصبحت دولاً تابعة لا تمتلك قرارها؟ أولم يؤدِ الخضوع لشروط المؤسسات الدولية، وعلى رأسها صندوق النقد الدولي، إلى إفقار الشعوب وتبديد ثرواتها؟

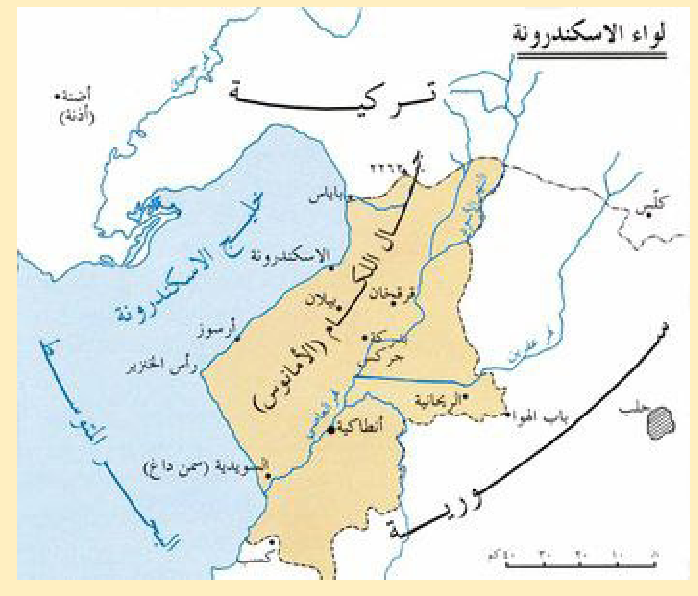
إن الشعب العربي يعيش أسوأ فتراته، فلا حرية ولا اقتصاد ولا أمل في مستقبل آمن لهم ولأبنائهم، وباتت مصائر أوطانهم مرهونة لدى الغرب، إنك تستطيع أن ترفع علم فلسطين وتهتف باسمها ولمقاومتها في شوارع دمشق ولكنك لن تقوى على عمل مسيرة دعم للمقاومة الفلسطينية أو أن تحرق العلم الصهيوني في القاهرة. وهو ما عبر عنه رسام الكاريكاتير الفلسطيني الشهيد ناجي العلي حين كتب في إحدى رسوماته: «على زمن عبد الناصر فلسطين كانت وشم على زنود الشباب.. بها الأيام أنا مجبر أرسمها بالحبر السري».

في فلسطين، تصنع الحرية بأيدي أبطالها وسترى النور قريباً، وسورية – حيث أبت أن تذل النفوس الكرام - ستخرج من أزمتها رغم ما تعانيه من دمار وتآمر وخذلان، فيا شعب فلسطين وسورية... ليتنا معكم.

منصة الأدبيات القومية: مأساة إسكندرونة

زكي الأرسوزي

مجلة الثقافة- العدد1 - 1 كانون الثاني 1960



كان العرب فيما مضى سادة العالم، وكانت كلمة «العرب» في عرف الأقوام مرادفة لكلمة «شرف» حتى إذا ذكر الناس محاسن امرئ قالوا عنه: «جميل، كالعربي»، «نبيل كالعربي».

كان سلطان أجدادنا قد امتد من سد الصين إلى جبال البرنة، وكانت طليعة جيشنا قد تقدمت حتى باريس في الغرب، كما كان خلفاؤنا قد أخضعوا لولائنا ملوك الصين في الشرق، وكنا إذ ننتشر على وجه الأرض إنما كنا نبتغي إعلاء كلمة الحق، وهل عنت كلمة «سيادة» في نظر أجدادنا معنى آخر؟ ألا يدل اشتقاق الكلمة من «ساد» فمن «سد» على المعنى ذاك؟ إن الرجل سيد إذا حمى حقيقة الجماعة، مجالها الحيوي، وإن السبع أسد إذا حمى عرينه، غابته، أفلم يبق البحر المتوسط بحيرة عربية حقبة طويلة من الزمن لا تمخره سفينة إلا بإذن منا، ولا يسمح لمسافر أن يتكلم بغير لغتنا.

نحن السباقون إلى العلى، ونحن السباقون إلى المكارم، وإليك كيف تراءت لأحد شعرائنا منزلة أجدادنا في الحضارة:



ورتبنا مراتب كل ملك ** فكان لنا الخلائق مقتفينا

سننا للبرية كل فعل ** جميل من فعال الأكرمينا

فهم يتشبهون بما فعلنا ** ومن آثارنا يتتبعونا

وليسوا مدركين لنا لأنا ** جعلنا السابقين الأولينا

وخير دليل على فضلنا على الأقوام كلماتنا المبثوثة في لغات هذه الأقوام، إن شأننا كأمة لم يبدأ مع رسالة محمد بن عبد الله، كانت أساطيرنا محور تأملات الأقوام، وتشهد على فضلنا على الأنام أسماء الآلهة: فتاح (القاضي) عند المصريين القدامى، ويهوا (ياهو) عند اليهود وأتينا من (اللات - آت) عند اليونان... إلخ. وتشهد على فضلنا على الأقوام الحروف الأبجدية وسيلة تدوين تراث الإنسان، وليس من دليل على شأننا فيما مضى أبلغ من تسمية إفريقيا باسم أحد ملوكنا (إفريقس في اليمن) فاتح هذه القارة ومعمرها.

ونحن لسنا أمة وسطاً بمعنى الأكمل، الأقرب إلى مقومات الإنسان وحسب، إن بلادنا هي أيضاً وسط بين الغرب والشرق وعلى ملتقى القارات تشرف من جهة على المحيط الأطلسي وتشرف من جهة أخرى على المحيط الهندي.

ولكن إذا كانت أرجاء العالم من تركستان إلى فرنسا لم تزل تدوي بسنابك خيلنا، وإذا كان موقع موطننا في العالم يجعل منا الحكم في مصير الأقوام، فإن شأننا هذا هو السبب في تألب الدول الكبرى منها والصغرى على الحيلولة دون نهضتنا وليس لسبب آخر توالت علينا المآسي، مأساة كليكية ومأساة إسكندرونة... إلخ، وماذا نرى لو أجلنا الطرف إلى الوراء، انكفأنا عن فرنسا وإيطاليا والهند وتركستان وإيران، ومن ثم انكفأنا عن الأندلس، وأخيراً أمست ديارنا نهباً بين الأغيار.

وبعد، فإني أود أن أبدأ حديثي عن مأساة لواء إسكندرونة بعرض موجز لوجهة نظري في مشكلتين من مشاكلنا القومية ألا وهما: الجزائر وفلسطين، فلما كنت طالباً بجامعة باريس وكان العهد قريباً من ثورة عبد الكريم الخطابي طلعت الصحف الفرنسية على العالم بهذا العنوان: كل جندي مغربي معادل لخمسة عشر جندياً فرنسياً، وكانت فرنسا

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023

إذ ذاك تزهو بنشوة النصر على ألمانيا، ولما اشتركت جيوش الحلفاء في موكب جنازة المارشال فوش حاز فرسان المغاربة الجائزة الأولى في العرض.

هذا ولما كانت فرنسا في حالة حرب ضد العلويين، كان جنود المغاربة يستغفلون قوادهم الفرنسيين فيلقون الذخيرة على الأرض لعل بني قومهم العلويين يلتقطونها فيحرزون على خصومهم النصر ولو كان في ذلك حتفهم. هؤلاء هم عرب المغرب.

وأما فرنسا فهاكم ملخص رأيي فيها: ذات يوم شهدت فيلماً سينمائياً يعرض القتال بين جنود الألمان وبين جنود الأنجلوأميركان في شوارع باريس، وأثناء ذلك كان الفرنسيون يتناوقون من وراء الشبابيك ويتساءلون لمن ستكون باريس؟ بربكم بما يختلف موقف دعاة الاستعمار هؤلاء عن رعديد ينظر من وراء العنبر إلى الاختلاف بين اللصوص على زوجته فيسأل نفسه حصة من منهم ستكون ربة منزله؟

مأساة اسكندرونة

بقلم: زكي الأرسوزي

مهداة الى أبطال العرب ، الى الجزائريين الذين استشهدوا في سبيل العروبة على أرض فرنسا

كان العرب فيما مضى سادة العالم ، وكانت كلمة « العرب » في عرف الاقوام مرادفة لكلمة « شرف » حتى اذا ذكر الناس محاسن امرىء قالوا عنه : جميل كالعربي ، نبيل كالعربي .

كان سلطان أجدادنا قد امتد من سد الصين الى جبال البرنة ، وكانت طليعة جيشنا قد تقدمت حتى باريس في الغرب ، كما كان خلفاؤنا قد اخضعوا لولائنا ملوك الصين في الشرق ، وكنا اذ نتشر على وجه الارض انما كنا نبتغي اعلاء كلمة الحق ، وهل عنت كلمة « سيادة » في نظر أجدادنا معنى آخر ؟ ألا يدل اشتقاق الكلمة من « ساد » فمن « سد » على المعني ذاك ؟ ان الرجل سيد اذا حمى حقيقة الجماعة ، مجالها الحيوي ، وان السبع أسد اذا حمى عرينه ، غابته ، أفلم يبق البحر المتوسط بحيرة عربية حقبة طويلة من الزمن لا تمخره سفينة الا باذن منا ، ولا يسمح لمسافر أن يتكلم بغير لغتنا ؟ .

نحن السباقون الى العلى ، ونحن السباقون الى المكارم ، واليك كيف تراءت لاحد شعرائنا منزلة أجدادنا في الحضارة :

ورثنا مراتب كل ملك
فكان لنا الخلائق مقتفينا
سننا للبرية كل فعل
جميل من فعال الاكرمينا
فهم يتشبهون بما فعلنا
ومن آثارنا يتبعونا
وليسوا مدركين لنا لانا
جعلنا السابقين الاولينا

وخير دليل على فضلنا على الاقوام كلماتنا المبثوثة في لغات هذه الاقوام ، ان شأننا كأمة لم يبدأ مع رسالة محمد بن عبد الله كانت أساطيرنا محور تأملات الاقوام ، وتشهد على فضلنا على الانام أسماء الآلهة : فتاح (القاضي) عند المصريين القدامى ، ويهوا (ياهو) عند اليهود وأتينا من (اللات ـ آت) عند اليونان .. الخ وتشهد على فضلنا على الاقوام الحروف الابجدية وسيلة تدوين تراث الانسان ، وليس من دليل على شأننا فيما مضى أبلغ من تسمية افريقيا باسم أحد ملوكنا (افريقس في اليمن) فاتح هذه القارة ومعمرها .

ونحن لسنا أمة وسطا بمعنى الاكمل ، الاقرب الى مقومات الانسان وحسب ، ان بلادنا هي أيضا وسط بين الغرب والشرق وعلى ملتقى القارات تشرف من جهة على المحيط الاطلسي وتشرف من جهة أخرى على المحيط الهندي .

ولكن اذا كانت أرجاء العالم من تركستان الى فرنسا لم تزل تدوي بسنابك خيلنا ، واذا كان موقع موطننا في العالم يجعل منا الحكم في مصير الاقوام ، فان شأننا هذا

هذه نبذة عن كامو الكاتب الذي كان يفكر باستقامة ويعبر بطريقة انسانية يحيا الكلمات التي ملهما البشر كالحرية والاخوة ، فيعطيها كل بريقها وحرارتها . وما أدل على ذلك من قوله في عالم مدجج بالسلاح تسود فيه الثقافة والبغضاء .

« أما الذين لا يزالون يفكرون بشجاعة بأن الاخ يجب أن يفنى دون المبادىء ، انني أكتفي بأن أعجب بهم من بعيد ، فأنا لست من عرقهم » .

– ١٥ –

لما شهدت هذا الفيلم الفرنسي قلت في نفسي ليس عبثاً أن اختار الفرنسيون شعارهم الديك، فإنه إن يثير بزهوه الإعجاب، وإن يسترع بصخبه الانتباه أثناء النهار، فإنه يبيت عند المساء وراء الدجاج حتى إذا داهم خطر ما القن اتقى بحسناواته شر الأعداء.

وكيف لا ينتصف، والحالة هذه، الجزائريون البواسل من خصومهم فيطهرون ديارهم من دنس الأجانب؟ ذلك لأننا خذلناهم، وهل من تكافؤ في العتاد بين المناضلين الجزائريين وبين الفرنسيين؟ أين لهم أسطول فرنسا وطياراتها ودباباتها؟ أفما كان يجب علينا أن نعلنها حرباً مقدسة على فرنسا؟ ولو أعلناها لعدنا من معركة النصر في الجزائر حاملين إلى ديارنا راية العروبة راية موحدة.



ومع ذلك فإذا كان الجزائريون الذين استشهدوا على أرض فرنسا في سبيل العروبة قد تعدت روعة بطولتهم كل وصف، فإن مأساة فلسطين سيلحق عارها هذا الجيل أبد الدهر. كنت بمناسبة مماثلة لخصت رأيي في الموقف بيننا وبين اليهود بهاتين الصورتين:

«الحرب: بين اليهود والعرب أشبه بمباراة في كرة القدم، فإذا تقدم أحد الفريقين متخطياً الحد المرسوم، صفّر له الحكم فقفل راجعاً والحكم هو بريطانيا».

«يتساءل المرء كيف لا يقتحم العرب تخوم فلسطين فينتصفوا لأنفسهم من بني إسرائيل، كيف لا يقتحمونهم وهم يفوقونهم بالعدد أكثر من مئة مثل؟ موقف كهذا يذكر بالفلاح العلوي وهو على الشط في السويدية حين يبدو له البحر في الأفق أعلى من البر، فتساءل كيف لا يغمر اليم اليابسة؟ ولكن الفلاح تفتحت عبقريته أمام هذا اللغز عن فكرة استوحاها من مقام الخضر هناك وهي، أن الخضر يلجم البحر بشعرة من ذيل فرسه فيمنع اليم عن غزو اليابسة، وأما نحن فنقول: لو لم يلجم الحكام بعملة أم حصان التي هي الليرة الإنكليزية المرسومة عليها صورة الخضر عليه السلام لتدفقت الجيوش العربية في فلسطين فغمرت الهضاب منها والوديان».

لم تقع الحرب بين العرب واليهود وإنما تمثلت رواية هزلية على أرض فلسطين، كان ممثلوها اليهود والمتزعمون من حكام بلاد العرب ومن أدعياء العروبة، وأما ملقن الرواية فقد كان الاستعمار.

كانت بريطانيا قد قر رأيها على إعادة مهمتها في الانتداب على فلسطين، إلى الأمم المتحدة وريثة عصبة الأمم التي كانت قد أوكلت اليها القيام بمهمة الانتداب ولئلا يؤدي ذلك إلى إقامة دولة عربية، استعانت بعملائها المسؤولين عن الأمور العامة في البلاد العربية، على تحقيق وعد كانت قطعته لليهود بجعل فلسطين موطناً لبني إسرائيل.

قام العملاء بالمؤامرة وكان عرب فلسطين الضحية، زجت الحكومات العربية في المعركة جيوشاً متطوعة وزجتها تحت قيادة أجنبية، وكان الغرض من المهزلة إظهار العرب عاجزين عن مقاومة الأفاقين اليهود بقدر ما كان الغرض منها إقامة دولة «إسرائيل»، وكيف بقوم ليسوا على مقياس بني إسرائيل أن يؤسسوا دولة يمتد سلطانها من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي؟

مهّد الخونة للمؤامرة بإقناعهم عرب فلسطين بالخروج مؤقتاً من ديارهم، وأتموا مؤامرتهم فيما بعد عندما أوفدوا اليهود المبعثرين هنا وهناك في البلاد العربية إلى فلسطين.

ولكن فات الإنجليز أن إقامة دولة «إسرائيل» في قلب البلاد العربية عمل أخرق لا يصمد أمام مجرى التاريخ. هاكم مثالاً كعبرة تناقش على ضوئه مستقبل هذا القطر العزيز على قلوبنا: لما قام هتلر أثناء الحرب العالمية الماضية بمقابلة رئيس الجمهورية التركية على حدود بلغاريا دفع الخوف باليهود إلى مغادرة أرض الميعاد، وكنا نشاهد ونحن ببغداد قوافل السيارات تنقل الأفاقين عبر العراق، فإذا كان الألمان وهم على حدود بلغاريا قد سببوا ترك اليهود أرض الميعاد فكيف بنا ونحن نحيط بـ»إسرائيل» من جميع الجهات وفينا غريزة القتال أشد مما هي عند الألمان.

ولكن الأمر يتوقف على إقناع اليهود بأننا لم نعد مطية للاستعمار، ونحن نقنعهم بذلك إذا أصبح الفلاح في اللاذقية قادراً على بيع قفة تفاحه في الإسكندرية في نفس الشروط التي يبيعها في مدينة حمص مثلاً، أي عندما نستكمل كيان جمهوريتنا. فلما قامت الجمهورية العربية المتحدة قلت إن كل دولة اعترفت بقيامها اعترفت ضمناً بخضوع مصير الدول الواقعة في القوس الذي حصل من التقاء مصر وسورية، لمصيرنا.

وأما مأساة إسكندرونة فهاكم كلمتين إحداهما لمدرس والأخرى لقائد يلخص بهما هذان الفرنسيان وجهة نظر دولتهما فيها: قال المدرس لتلاميذه العرب في الصف إن الاتفاقية بين فرنسا وتركيا على سورية قبر دفنا فيه حلم الإمبراطورية العربية، وقال القائد: إن وجود تركيا قوية على حدود البلاد العربية ليخفف من حماس العرب وليعرقل تطورهم.

هكذا كانت قضية اللواء قضية عربية، وما ظهرت إلا لتدرأ خطر العروبة عن فرنسا وتركيا، فتركيا دولة متاخمة لنا فهي منا، إذا استكملنا شروط نهضتنا، بمثابة إحدى الدول الصغيرة التي تتاخم ألمانيا أو روسيا مصيرها أن تكون في فلك غيرها، وأما فرنسا فتعوض عن أبنائها المتخاذلين في الدفاع عن حدودها بعرب المغرب لتحمي كيانها وهي تنظر إلى يقظتنا بعينين مغشاتين بذكريات أجدادنا، بذكريات جحافل خيولنا إذ كانت تحول وتصول في ديارها، هكذا اتفقت فرنسا وتركيا على الحيلولة دون عودتنا إلى مسرح التاريخ دولة عظيمة تنكسفان في ظلها. والعرب على ما هم اليوم أشبه بـ «مارد



في قمقم» يتصرف في مصيره الطفل ما دام في معقله، ولكن إذا انطلق المارد من حبسه شهد الناس تحولاً في مجرى تاريخ العالم، ولطالما لم ينبت ريش الفرخ تتغلب عليه فئران الجيران ولو كان فرخ نسر، ولكن إذا استكمل فرخ النسر شروط نموه أصبح على مقدرة من أن ينقض على الذئب ويفترسه.

أود أن أنتقل بكم، أيها الرفاق، الى أنطاكية وأن نتمثل أنا وإياكم ربوعها وسماءها، يا له من مشهد بهيج يثير شعوراً مزيجاً من الجمال والروعة، ها هي أرض متموجة تفصل هضابها الوديان، يحيط بكل من جانبها سلاسل من جبال عالية ويتوسطها نهر العاصي متهادياً في سيره معرجاً بين المنعطفات تكلل ضفتيه أشجار الصفصاف والجداول المنشقة مياهها من كلتا السلسلتين تنساب بين الروابي لتلتقي بنهر العاصي، جداول تضفي على الوديان حلة من الجنان، وأما السماء فتبدو في ظل الجبال كأنها قوس قزح تناثرت ألوانه في الأجواء، يا له من مشهد خارت قواي، في عهد الصبا، أمام روعته فسقطت مغمياً من شدة الوجد. وكذلك اليونان فنانو العهود القديمة وقفوا مدهوشين أمام ربوع أنطاكية الجميلة فاتخذوا من هذه الأرض الجميلة مقراً لآلهة الجمال (حربية كلمة يونانية تعني اللذة. راجع أسطورة دفنه).

ونحن عندما هجرنا أنطاكية، أثناء دخول الجيش التركي إليها، ودعنا شعباً يفوق بروعته جمال الطبيعة، وهاكم شهادة أعضاء اللجنة الدولية في موقف عرب اللواء من قضيتهم القومية: «ما من عاصمة من عواصم أوروبا تستطيع في شروط مماثلة، أن تقوم بثلث ما قام به عرب اللواء من تضحيات في سبيل قضيتهم مما يجعلنا ننحني، نحن ممثلي الأمم، إجلالاً لأعمالهم وبطولاتهم».

وهاكم بعض الحوادث التي تكشف عن مدى عمق الانقلاب في الحياة العامة. كان للتجربة الإنسانية في لواء إسكندرونة مغزى هو ظهور حياة جديدة من تحت أنقاض التقاليد البالية وكانت العروبة هي صوت هذه الحياة، الصوت الذي دوت به أرجاء المنطقة، كانت النفوس تردد صدى هذا الصوت فينادون بعضهم لبعض هيا بنا نقيم عالماً يسوده الإخاء والحرية (قنابر ارتفعت في الآفاق تستقبل ربة النهار فتزف إلى الأحياء بشارة يوم جديد) تحول الناس بهذه الولادة من رعاع تتقاذفهم الأغيار إلى أبطال

عاقدي العزم على إقامة دولة عربية يحمل التاريخ إلى الأجيال مأثرها ومناقبها.

وها نحن نعيد هنا بعضاً من الأمثلة التي تكشف عن الانقلاب الذي حدث في هذه الزاوية من بلادنا، «كانت سيدة عربية قد قامت بزيارة لأسرة فرنسية ولما قدمت ربة البيت لضيفتها القهوة امتنعت هذه معتذرة ببعض المعذرة، ثم أنها همست بإذن ترجمانها الذي كان ابنها يا بني نحن لا نشرب بآنية هؤلاء لأنهم يأكلون حيوانات نجسة، ولكن هذه العربية بعد مضي عشر سنوات على الحادث، وكان الشعور القومي قد بزغ في أنطاكية، قالت لإبنها إذ سمعته يلفظ كلمة مسيحي، لا يا بني، من العيب بعد الآن أن نستعمل كلمات : مسلم مسيحي، أفلسنا جميعنا عرباً وما ذنب المسيحيين إذا اتبعوا عيسى ابن مريم، وقد جاء مبشراً قبل محمد، أو ليس محمد والمسيح من ذرية إبراهيم الخليل؟».

هكذا كان الشعور القومي المستيقظ من الأعماق يسوق الآراء في الوجهة التي يسوغ بها كيانه. «وفي ذات يوم كنت ماراً بشارع من شوارع أنطاكية، وإذا ببعض الصبايا المسيحيات، متجمهرات أمام منزل إحداهن يقول بعضهن لبعض إن النبي محمداً من جنسنا من دمنا، فهو أقرب إلينا من الآخرين، يجب علينا أن نقوم غداً بتنظيم حفلة ميلاده، وفي الحقيقة لم يخلفن وعداً في اليوم التالي». هكذا كان الشعور القومي المستيقظ في النفوس يفصح عن ذاته متجسداً ببطل العرب محمد، كان الشعور القومي المستيقظ يظهر كحافز يحفز النساء والرجال، الأطفال والشيوخ، العمال والمتعلمين إلى تشييد دولة عربية ذات شأن في مصير العالم، وهاك بعضاً من تلك المظاهر: «كان قروي بشارع من شوارع إسكندرونة، ولما رأى هذا القروي معالم الزينة التي كانت تقام بالبلدة عام 1939، سأل المارة عن مغزى الزينة، قيل إن سورية قد حصلت على تصريح بالاستقلال، فأجاب القروي على القول: لا يحق لنا أن نقيم الأعياد ما لم نجتمع كلنا جميعاً تحت راية العروبة».

هكذا كان حلم الوحدة العربية متملكاً من نفوس عمال وفلاحي اللواء، كان للعروبة شهداؤها، كما هي حالة المؤمنين بكل عقيدة.

«فتى عربي لم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر تسلق شباك الباب، أثناء هجوم الجمهور على دار الحكومة من أجل إخراجي من السجن، وإذا كان هذا الفتى يصعد نحو القمة



تلقى بعض الطلقات النارية التي مزقت أحشاءه، ولكنه مع ذلك ظل مستمراً في صعوده وهو ممسك بيده أحشاءه الممزقة حتى رمى بنفسه إلى الجانب الآخر من الباب، ثم نهض نهوض نسر مجروح وفتح الباب للجمهور، ثم سقط مغمياً على الأرض، وكانت شهامة الأب تضاهي بطولة الابن، فلما قيل له أن لا يبتعد عن غرفة العمليات لأن ابنه في خطر فقد يفارق الحياة وهو تحت العملية، فأجاب الأب: ليس من المهم مصيره وإنما المهم مصير العروبة، مصير الأستاذ».

ولم تكن البطولة في اللواء وقفاً على الأفراد، فقد قام الجمهور أيضا بأعمال تعز على الوصف، فلما أذنت الساعة الحاسمة استيقظت الغريزة القومية من الأعماق، في تلك الساعة لم يجرؤ أحدٌ على الخروج على إرادة الأمة إلا سبعة أنفار ممن كانت تركيا قد اتخذتهم واسطة في توزيع المال فتجعل منهم مسؤولين عن الآخرين، ولما شاع الخبر المشؤوم بين الناس أقسمت زوجات هؤلاء البؤساء اليمين على الطلاق وقرر الأولاد أن يغسلوا العار بدماء المارقين، موقف الأبناء والأمهات هذا قد أهاب بالشذاذ، فدفع بهم إلى الاسترحام من اللجنة الدولية والطلب بإعادة النظر في أمر التسجيل والتمسوا بأن يسجلوا مع بني قومهم عرباً وإلا سينتحرون.

هكذا أصبحت العروبة التي بزغت في الأفق نبراساً للعرب أجمعين.

وأما المؤامرة فقد تمت على الوجه الآتي: لما ظهر خطر ألمانيا النازية في أفق السياسة الدولية، أخذت فرنسا بتصفية مشاكلها استعداداً لمجابهة الخطر، خافت الدولة المنتدبة على سورية ولبنان من أن تعجز إذا وقعت الحرب بينها وبين ألمانيا، عن الصمود أمام أعدائها في الجبهة الأوروبية فيقتنص العرب فرصة انهيارها، فينقضون على فلولها في «الشرق الادنى»، ودرءاً لهذا الخطر، خطر قيام ثورة في سورية أو خطر احتلال عسكري لهذا القطر من قبل دولة عربية مجاورة، شرعت فرنسا في توثيق عرى التحالف بينها وبين تركيا، وكان عربون الاتفاق بينهما على العرب هو لواء إسكندرونة.

لما عقدت فرنسا مع تركيا معاهدة أنقرة عام 1921، ألحق بالمعاهدة ذيل يتضمن الوعد بتسليم اللواء إلى تركيا في ظروف دولية مؤاتية، وها قد جاء الظرف المؤاتي وهو

استعداد ألمانيا النازية لحربٍ تنتقم بها من أعدائها فتعوض على الألمان ما قد خسروه في حربهم ضد فرنسا عام 1918.

ولكن كيف تستطيع فرنسا وهي منتدبة على سورية من قبل عصبة الأمم أن تتخلى لتركيا عن جزء من الأراضي الموكلة بها؟ وهل يكتسب الأتراك حقاً مشروعاً في إقليم تحت وصاية عصبة الأمم من دون رأي صاحبة الحق في الوصاية عليه؟ وكان هذا رأي ليون بلوم رئيس وزراء فرنسا في المسألة من وجهة النظر القانونية.

وتمهيداً لحل المشكلة بالطرق المشروعة، أي تمهيداً لإجراء استفتاء في اللواء، أثيرت اضطرابات سنة 1936 في سورية، تظاهر الفرنسيون بإذعان لمطالب السوريين بالاستقلال وأوحى إلى الوفد السوري المفاوض بأن مرجع الحل هو جنيف، على أن تكون أنقرة الطريق المؤدي إليها ومنها إلى باريس. اشترط الفرنسيون على الوفد السوري شرطاً أساسياً لحل المشكلة السورية هو قبول العهد الذي كانت قطعته فرنسا لتركيا، وقبل الوفد السوري بالشرط أي بالتخلي عن لواء إسكندرونة لتركيا بنتيجة استفتاء تحت إشراف عصبة الأمم، وجرى لأعضاء الوفد السوري وهم في طريقهم إلى جنيف مقابلة مع رئيس الدولة التركية مصطفى كمال وحضر المقابلة سفير فرنسا بأنقرة السيد بوتسو، وكان من نتيجة المقابلة أن اتفقت فرنسا وتركيا على إخراج أربعين نائباً عن اللواء منهم اثنان وعشرون من الأتراك، وثمانية عشر عن الطوائف المختلفة، وهكذا اتخذ الوفد السوري المفاوض مطية لتنفيذ الاتفاق على العرب.

ولكن عرب اللواء خيبوا آمال فرنسا وتركيا وأدعياء الوطنية من حكام ومتزعمين وفوجئ العالم إذ ذاك بوطنية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً. جرى الاستفتاء في شروط غير متكافئة: كانت تركيا وفرنسا تظاهران الأتراك في اللواء بينما كان العرب في سورية وفي الأقطار العربية الأخرى يدورون في فلك الحلفاء.

ولما لم ينجح الأتراك في الاستفتاء، أوقفت عمليات التسجيل وأبلغت اللجنة الدولية وجوب مغادرة البلاد، وعندئذ قام الفرنسيون بموجة من الإرهاب، تمهيداً لاحتلال اللواء عسكرياً من قبل الأتراك، هكذا اضطر عرب اللواء فرنسا إلى أن تكشف القناع عن حقيقتها فتعلن على لسان مندوبها (غارو) ومدير استخباراتها الكولونيل (بونو) أنها على اتفاق



سابق مع تركيا وأن الاتفاق عزيز عليها إلى حد أنها تدوس في سبيله جميع المقدسات الإنسانية.

إن عرب اللواء لم يثبتوا بسالتهم وتضامنهم حق العرب في اللواء فحسب، بل أنهم لم يتركوا لفرنسا مجال الادعاء بأنها تذعن للحق فتراعي تقاليدها فتسلم اللواء للأتراك.

وأما مشكلة اللواء فلها طريقان في الحل أولهما الطريق القانونية، كان اللواء جزءاً من سورية وكانت سورية تحت وصاية عصبة الأمم، ولما كانت العصبة قد أجرت استفتاء تحت إشراف لجنة عينت أعضاءها ولما كانت اللجنة التي أشرفت على الاستفتاء قد أعلنت عن توقيف الاستفتاء نظراً لتدخل الأتراك بالقوة معتدين بذلك على القوانين الموضوعة من قبل العصبة، فقد أصبح أمر إلحاق اللواء بتركيا أمراً تعسفياً غير مشروع، ولما كانت الأمم المتحدة اليوم وريثة عصبة الأمم، فقد أصبح من المشروع إعادة اللواء إلى وطن الأم سورية (أي الجمهورية العربية المتحدة).

وأما الطريقة الثانية فهي أن نستكمل شروط كياننا بإنشاء دولة عربية تضم تحت رايتها العرب أجمعين.

وعندئذ نحل المشاكل المتعلقة بيننا وبين الجيران بمقتضى الحق والعدالة.

وفي الختام أتوجه اليكم، أيها الرفاق، بملخص خبرتي وتأملاتي، إن قيمة الحياة بأغراضها، لا بعدد سنيها، فالغرض النبيل يضفي على الميول والغرائز رواءه فيجعلها ذات رونق وبهاء، إن المرء ينشئ سمته بأعماله، فإذا كانت نبيلة تجمّل بها وإلا خسّ وتدنى، الأغراض هي مثار القوى الكامنة في الحياة والحافز لها، وعلى قدر ما تكون الأمنية فسيحة تزداد الهمة، حتى لكأن العلاقة بين رفعة الأمنية وعمق النزوات علاقة أصيلة في طبيعة الحياة، مثلها كمثل شلال تتناسب شدة انحداره مع درجة ارتفاعه، وقد أشار إلى الحقيقة المذكورة شاعرنا المتنبي بقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ** وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها ** وتصغر في عين العظيم العظائم

ولكن الغرض يزداد وقعه في النفس حين يتعاون الناس على تحقيقه كأمنية مشتركة، وتعبيراً عن هذا المعنى قيل: إن الحياة كالنار تشتد ذكوتها مع مدى انتشارها، والفكرة وهي مظهر للحياة تشتد في النفس بتجاوب صداها عند الآخرين، مثلها بذلك كمثل وهج اللهب باشتداده مع اتساع دائرة الوقود، وأي أمنية، بالنسبة إلينا كعرب، تمد الخيال بالخصب والفسحة أمنية جمع شمل بني قومنا تحت راية العروبة، فإذا سرح أحدنا النظر على مر الزمان رأى تاريخ أجداده يرتقي الى أصول البشر، ولغتنا تشهد على أن العروبة والإنسانية صنوان.

وإذا هو سرح النظر في المكان رأى موطن أجداده من العالم بمثابة القلب من الجسد، وفي أي هدف تلتقي أماني العرب كما تلتقي في استقلال مصيرهم عن كل دخيل؟ على الاستقلال بالمصير يتوقف انطلاق الخيال وازدهار الشخصية، وأي مشكلة من مشاكل الحياة لا يمت حلها بصلة إلى الاستقلال والحرية، إن الحرية من النفوذ الأجنبي كالشمس من المكروب لا تعيث الحشرات إلا في العتمة.

وإذا ما أصبحت الأمنية العامة مثلاً أعلى، إليها صبت النفوس وبها ارتبطت مظاهر الحياة، وعلى تحقيقها بنيت الآمال، وإذا تجاوبت النفوس فاشتد فيها الولع لتحقيق الأمنية المشتركة كرسالة، إذا ما تم ذلك تحول الناس إلى أبطال يقبلون على جلائل الأمور متحدين الموت.

الصفحة الثقافية 2: سورية، مدرسة الفن والإبداع والثقافة

طالب جميل

لم تكن سورية عبر التاريخ إلا مكاناً خصباً للنهوض والتطور والتواصل الحضاري والإنساني، وصاحبة السبق في كثير من المجالات رغم تقلبات السياسة وتغيّر الأقوام، إذ يمكن اعتبارها (خلاصة لتاريخ العالم) لأنه لا يوجد حضارة كبرى في التاريخ



الإنسـاني إلا وتفاعلت علـى أرضهـا، وولـدت وتوالـدت فيهـا المعرفـة، الإبـداع، الابتـكارات، اختـلاط النـوع البشـري، الديانـات. ومـا أرضهـا إلا تراكم حقيقـي لهـذا المزيـج منذ آلاف الأعـوام.

هـذه الأرض التـي تسـمى سـورية الموغلـة فـي القدم التـي ظهـرت فيهـا أول أبجديـة فـي العالـم ترعرعـت علـى يديهـا الحضـارات الإنسـانية ونمـا فـي حضنهـا التاريـخ ورضـع مـن صدرهـا رواد فـي الفن والأدب والموسـيقى وولـدت كثيـر مـن الإنجـازات والابتـكارات فـي هـذه المجـالات تحت شمسـها.

فقد بـدأت الموسيقى مـن أرضهـا عندمـا اكُتشـف فيهـا أول لـوح كتـب عليـه بالنقش المسماري كلمـات أول مقطوعـة موسـيقية فـي العالـم فـي مدينـة أوغاريـت السـاحلية، وفـي العصـر الأموي ولأن فيهـا عاصمـة الخلافـة صـار للموسـيقى والغنـاء شـأن كبيـر فيهـا، وفـي عهـد الحمدانيين إبـان العصـر العباسـي صـارت مدينـة حلـب أهـم مراكـز الثقافـة العربيـة.

سـورية هـي الأرض التـي صنعـت لنفسـها تراثـاً موسـيقياً جميـلاً وامتلكـت فلكـوراً عريقـاً خلابـاً تنـوع فيـه المشـهد الموسـيقي بيـن الأغانـي الشـامية الرقيقـة الناعمـة إلـى القـدود الحلبيـة وأغانـي وادي الفـرات وموسـيقى جبـل العـرب اضافـة إلـى الغنـاء السـاحلي المميـز. وفـي فضائهـا الرحـب هنـاك مسـاحة دائمـاً للتراتيـل السـريانية التـي تلتقـي مـع آذان الجامـع الأمـوي الجماعـي، ولأنهـا كذلـك فقـد خـرج منهـا عمالقـة فـي الغنـاء مثـل صبـاح فخـري، صبـري مدلـل، فهـد بـلان، ميـادة الحنـاوي، أديـب الدايـخ. ولأجلهـا غنـت فيـروز (أحـب دمشـق) و(يـا شـام عـاد الصيـف) و(سـوريا مواكـبٌ تسـيرُ فـي مطالـعِ الضيـاءِ) و(مـوال دمشـقي)، وشـدت نشـيداً لميسـلون و(خبطـة قدمكـن عـالأرض هـدارة).

علـى الأرض السـورية وولـد ونشـأ وترعـرع أبـرز شـعراء وأدباء العـرب والعربيـة وأعظمهم،

فعاش فيها أبو العلاء المعري وأبدع أبو تمام أجمل القصائد، وفَتن ديك الجن الحمصي أهل العراق وهو فيها، ومنها ذاع صيت فخري البارودي، نزار قباني، ممدوح عدوان، عمر أبو ريشة، بدوي الجبل، سليمان العيسى وغيرهم من الشعراء.

وفي مدينة حلب السورية أنجز الفارابي (كتاب الموسيقى الكبير)، وخرج إلى النور كتاب (الأغاني) لأبي فرج الاصفهاني الذي أهداه إلى سيف الدولة الحمداني، وفيها نشات القدود التي بنيت على الأناشيد الدينية والموشحات، وصرخ عبد الرحمن الكواكبي صرخته الشهيرة ضد المحتل العثماني في كتابه طبائع الاستبداد الذي تحدث فيه عن استبداد الجهل على العلم واستبداد النفس على العقل.

من سورية كانت راية الفن والادب والإبداع دائماً ترفرف على أرضها، وكانت تشهد توالد المبدعين والحركات والمدارس الإبداعية، فمنها انطلق رائد المسرح العربي أبو خليل القباني الذي كان له الدور الأكبر في نهضة الموسيقى والمسرح العربي من خلال أعماله الغنائية والمسرحية، والذي ساهم في ارتقاء وتطوير ذائقة الجمهور العربي فقدم في أعماله اللحن الجميل والقيم الإنسانية والمشهد البصري فأصبح الأب الروحي للمسرح والغناء العربي.

ومنها حاول (سعد الله ونوس) صناعة مسرح ذي هوية عربية من حيث الشكل والمضمون، مستنداً في كثير من تجاربه على التراث والتاريخ العربي وعكس ذلك في كثير من أعماله الخالدة، وخرج منها كذلك (مسرح الشوك) الذي كان تجربة فريدة على المستوى السياسي وساهم في إضافة لمسة مهمة للمسرح السياسي العربي من خلال تقديم أعمال تتناول الهم الوطني والقومي بشكل ناضج، و(فرقة تشرين) التي قدمت أعمال كبيرة بمضامين سياسية مهمة ذاع صيتها مثل (ضيعة تشرين، غربة، كاسك يا وطن) كانت تتناول الواقع العربي وهموم ومشاكل المواطن العربي، وكان الشاعر والكاتب (محمد الماغوط) المساهم الأكبر في كتابة كثير من الأعمال السياسية المسرحية التي قدمتها.

وقد استطاع المبدعون السوريين تطوير صناعة الدراما بشكل لافت ومثير للانتباه فاستطاعت حجز مساحة واسعة لها لدى المشاهد العربي. وقد برزت قوة وجمالية الدراما السورية من خلال قدرتها على تقديم أفكار جديدة لم يعتد المشاهد العربي كثيراً



على رؤيتها على الشاشة بمضمون يحترم عقل المشاهد ووعيه، بالإضافة إلى براعة الممثلين السورين في تقديم أداء مبدعٍ ومقنع. لذلك لمعت أسماء مهمة في عالم التمثيل والأداء بحجم دريد لحام، نهاد قلعي، عمر حجو، ياسر العظمة، منى واصف وغيرهم ممن ساهمت بإنجاح تلك التجربة المتفردة، كما ساهم كتّاب وروائيون كبار بتقوية هذه الصناعة عبر نصوصهم الإبداعية مثل الروائي الكبير حنا مينا، هاني السعدي، ممدوح حمادة، وحسن م. يوسف، وأسماء أخرى مهمة.

أما السينما السورية فلم تكن مميزة ومبدعة -رغم شح الإنتاج- بقدر ما كانت الأكثر التصاقاً بالهم العربي، فالتزمت منذ نشأتها بالتعبير عن قضايا العرب المصيرية، حيث كانت فلسطين وقضيتها هاجساً للعاملين في السينما السورية من مخرجين وكتّاب وممثلين. لذلك من النادر أن تجد فيلماً سورياً لا يتطرق إلى القضية الفلسطينية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، لأنه منذ انطلاق السينما السورية في بدايات القرن العشرين كان لفلسطين حضور كبير ونصيب جيد من الأفلام خصوصاً بعد احتلال فلسطين عام 1948.

اليوم، ورغم كل ما حدث في سورية، وبعد أن أخذت الحياة فيها هذا الشكل الفانتازي وأصبحت مثل أشرعة مراكب حنا مينا بعد أن مزقتها أمواج البحار، وصارت سخرية الماغوط هي المسيطرة على واقعها السياسي بعد أن خرجت عن النص واخترقت الثالوث المحرم مثل روايات حيدر حيدر، وبعد أن داهمتها خيبات سعد الله ونوس فصارت الحياة فيها أشبه بلوحة من لوحات (بقعة ضوء)، ولأن «الثقافة تبدأ حين ينتهي كل شيء»، كما يقول الكاتب الإيرلندي برنارد شو، وحيث أن سورية كانت عبر التاريخ ملهمة ومنتجة للثقافة، وبما أننا كعرب نؤمن بسورية مهداً للعروبة وحاضرة للثقافة، فإننا على يقين أنها ستكون مثل طائر الفينيق قادرة على أن تجدد نفسها وتخرج من رماد الحرب وحصار الإخوة والأعداء وغدر الطبيعة وأن تُبعث من جديد وتنتصر على الألم وتتجاوز كل هذه الأوجاع بالحب والعمل والتكاتف والوحدة والإيمان بحتمية النجاة، فهي الأم بالنسبة لنا كعرب، والأم لا تستسلم أو تستكين وتظل نموذجاً في الصبر والصمود والتضحية.



طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــدد 86
01 آذار 2023

قصيدة العدد: يا صبر أيوب *

عبد الرزاق عبد الواحد

«من مأثور حكاياتنا الشعبية، أن مخرزاً نُسي تحت الحمولة على ظهر جمل...»



قالوا وظلَّ.. ولم تشعرْ به الإبلُ
يمشي، وحاديه يحدو.. وهو يحتملُ
ومخرزُ الموتِ في جنبيه ينشتلُ
حتى أناخَ ببابِ الدارِ إذ وصلوا
وعندما أبصروا فيضَ الدما جفلوا
صبرَ العراقِ صبورٌ أنتَ يا جملُ!
وصبرَ كلِّ العراقيين يا جملُ
صبرَ العراق وفي جنبيه مخرزُه
يغوصُ حتى شغافِ القلبِ ينسملُ

ما هدموا.. ما استفزوا من محارِمه
ما أجرموا.. ما أبادوا فيه.. ما قتلوا
وطوقُهم حولَه.. يمشي مكابرةً
ومخرزُ الطوقِ في أحشائه يغلُ
وصوتُ حاديه يحدوه على مضضٍ
وجرحُه هو أيضاً نازفٌ خضلُ
يا صبرَ أيوبَ.. حتى صبرُه يصلُ
إلى حدودٍ، وهذا الصبرُ لا يصلُ!
يا صبرَ أيوبَ، لا ثوبٌ فنخلعُه



إن ضاقَ عنا.. ولا دارٌ فننتقلُ

لكنه وطنٌ، أدنى مكارمه

يا صبرَ أيوبَ، أنَّا فيه نكتملُ

وأنه غرةُ الأوطانِ أجمعِها

فأينَ عن غرةِ الأوطانِ نرتحلُ؟

أم أنهم أزمعوا ألا يظلّلَنا

في أرضنا نحنُ لا سفحٌ، ولا جبلُ

إلا بيارقُ أمريكا وجحفلُها

وهل لحرِّ على أمثالِها قبلُ؟

وا ضيعةَ الأرضِ إن ظلت شوامخها

تهوي، ويعلو عليها الدونُ والسفلُ!

كانوا ثلاثين جيشاً، حولهم مددُ

من معظم الأرضِ، حتى الجارُ والأهلُ

جميعهُم حولَ أرضٍ حجمُ أصغرِهم

إلا مروءَتها.. تندى لها المقلُ!

وكانَ ما كان يا أيوبُ.. ما فعلَتْ

مسعورةٌ في ديارِ الناسِ ما فعلوا

ما خرَّبت يدُ أقسى المجرمين يدا

ما خربت واستباحتْ هذه الدولُ

هذي التي المثلُ العليا على فمِها

وعند كلِّ امتحانٍ تبصَقُ المثلُ!

يا صبرَ أيوبَ، ماذا أنت فاعلُه

إن كان خصمُك لا خوفٌ، ولا خجلُ؟

ولا حياءٌ، ولا ماءٌ، ولا سمةٌ

في وجههِ.. وهو لا يقضي، ولا يكلُ

أبَعدَ هذا الذي قد خلفوهُ لنا

هذا الفناءُ.. وهذا الشاخصُ الجللُ

هذا الخرابُ.. وهذا الضيقُ.. لقمتُنا

صارت زعافاً، وحتى ماؤنا وشلُ

هل بعدَه غير أن نبري أظافرَنا

بريَ السكاكينِ إن ضاقت بنا الحيلُ؟!

يا صبرَ أيوبَ.. إنَّا معشرٌ صبرُ

نغضي إلى حدِّ ثوبِ الصبرِ ينبزلُ

لكننا حينَ يُستعدى على دمِنا

وحين تُقطعُ عن أطفالنا السبلُ

نضجُّ لا حيَّ إلا الله يعلمُ ما

قد يفعلُ الغيضُ فينا حين يشتعلُ!

يا سيدي.. يا عراقَ الأرضِ.. يا وطناً

تبقى بمرآهِ عينُ الله تكتحلُ

لم تشرقِ الشمسُ إلا من مشارقِهِ

ولم تغبْ عنهُ إلا وهي تبتهلُ
يا أجملَ الأرضِ .. يا من في شواطئه
تغفو وتستيقظُ الآبادُ والأزلُ
يا حافظاً لمسارِ الأرضِ دورتَه
وآمراً كفةَ الميزانِ تعتدلُ
مذ كُوِّرت شعشعتْ فيها مسلتُه
ودارَ دولابُه، والأحرفُ الرسلُ
حملنَ للكونِ مسرى أبجديتِهِ
وعنه كلُّ الذين استكبروا نقلوا!
يا سيدي.. أنت من يلوون شعفتَه
ويخسأونَ، فلا واللهِ، لن يصلوا
يضاعفون أسانا قدرَ ما قدروا
وصبرُنا، والأسى، كلٌّ له أجلُ
والعالمُ اليوم، هذا فوق خيبتِه
غافٍ، وهذا إلى أطماعه عجلُ
لكنهم، ما تمادوا في دنائتِهم
وما لهم جوقةً الأقزامِ تمتثلُ
لن يجرحوا منك يا بغدادَ أنملةً
ما دام ثديك رضّاعوه ما نذلوا!
بغدادُ.. أهلك رغمَ الجرحِ، صبرهمُ
صبرُ الكريمِ، وإن جاعوا، وإن ثكلوا

قد يأكلونَ لفرطِ الجوع أنفسَهم
لكنهم من قدور الغير ما أكلوا!
شكراً لكل الذين استبدلوا دمنا
بلقمة الخبز.. شكراً للذي بذلوا
شكراً لإحسانِهم.. شكراً لنخوتهم
شكراً لما تعبوا.. شكراً لما انشغلوا
شكراً لهم أنهم بالزاد ما بخلوا
لو كان للزاد أكَّالون يا جملُ!
لكن أهلي العراقيين مغلقةٌ
أفواهُهم بدماهُمُ فرطَ ما خُذلوا
دماً يمجُّون إما استنطقوا، ودماً
إذ يسكتون، بجوفِ الروحِ، ينهملُ
يا سيدي.. أين أنت الآن؟ خذْ بيدي
إني إلى صبرك الجبارِ أبتهلُ
يا أيهذا العراقيُّ الخصيبُ دماً
وما يزال يلالي ملأه الأملُ
قل لي، ومعذرةً ، من أي مبهمة
أعصابُك الصمُّ قُدت أيها الرجل؟!
ما زلت تؤمن أن الأرض دائرةٌ
وأن فيها كراماً بعد ما رحلوا
لقد نظرت إلى الدنيا، وكان دمي



يجري.. وبغداد ملء العين تشتعلُ

ما كانَ إلا دمي يجري.. وأكبرُ ما

سمعته صيحة باسمي.. وما وصلوا!

وأنت يا سيدي ما زلت تومئ لي

أن الطريق بهذا الجبِّ يتصلُ

إذن فباسمك أنت الآن أسألُهمْ

إلى متى هذه الأرحام تقتتلُ؟

إلى متى تترع الأثداءُ في وطني

قيحاً من الأهل للأطفال ينتقلُ؟

إلى متى يا بني عمي؟.. وثابتةٌ

هذي الديار.. وما عن أهلها بدلُ؟

بلى... لقد وجد الأعرابُ منتسباً

وملةً ملةً في دينها دخلوا!

وقايضوا أصلَهم.. واستبدلوا دمَهم

وسُوِّيَ الأمر.. لا عتبٌ، ولا زعلُ!

الحمد لله.. نحن الآن في شغلٍ

وعندهم وبني أخوالهم شغلُ

أنا لنسأل هل كانت مصادفةً

أن أشرعَت بين بيتَي أهلِنا الأسلُ؟

أم أن بيتاً تناهى في خيانتِه

لحد أن صارَ حتى الخوفَ يفتعلُ؟

وها هو الآن يستعدي شريكتَه

بألفِ عذرٍ بلمحِ العين ترتجلُ

أما هنا يا بني عمي، فقد تعبتْ

مما تحنُّ إلى أعشاشِها الحجلُ

لقد غدا كلُّ صوتٍ في منازِلنا

يبكي إذا لم يجد أهلاً لهم يصلُ

يا أيها العالمُ المسعورُ.. ألفُ دمٍ

وألفُ طفلٍ لنا في اليوم ينجدلُ

وأنت تحكمُ طوقَ الموتِ مبتهجاً

من حولِ أعناقِهم.. والموتُ منذهلُ

أليس فيك أبٌ؟.. أمٌّ يصيحُ بها

رضيعُها؟؟ طفلةٌ تبكي؟ أخٌ وجلُ؟

يصيحُ رعباً، فينزو من توجُّعه

هذا الضميرُ الذي أزرى به الشللُ؟

يا أيها العالمُ المسعورُ.. نحن هنا

بجرحنا، وعلى اسم الله نحتفلُ

لكي نعيدَ لهذي الأرض بهجتَها

وأمنَها بعدما ألوى به هبلُ

وأنت يا مرفأَ الأوجاع أجمعِها

ومعقلَ الصبر حين الصبرُ يعتقلُ

لأنك القلبُ مما نحنُ، والمقلُ

لأن بغيركَ لا زهوٌ، ولا أملُ
لأنهم ما رأوا إلاك مسبعةً
على الطريقِ إلينا حيثما دخلوا!
لأنكَ الفارعُ العملاقُ يا رجلُ
لأن أصدقَ قولٍ فيك: يا رجلُ!
يقودني ألفُ حب.. لا مناسبةٌ
ولا احتفالُ.. فهذي كلها عللُ
لكي أناجيك يا أعلى شوامخِها
ولن أرددَ ما قالوا، وما سألوا
لكن سأستغفر التاريخَ إن جرحتْ
أوجاعُنا فيه جرحاً ليس يندملُ
وسوف أطوي لمن يأتون صفحتَه
هذي، لينشرها مستنفرٌ بطلُ
إذا تلاها تلاها غيرَ ناقصةٍ
حرفاً... وإذ ذاك يبدو وجهك الجذلُ
يا سيدي؟؟ يا عراقَ الأرض.. يا وطني
وكلما قلتها تغرورقُ المقلُ
حتى أغص بصوتي، ثم تطلقه
هذي الأبوةُ في عينيك والنبلُ
يا منجمَ العمر.. يا بدئي وخاتمتي
وخيرُ ما في أني فيك أكتهلُ
أقول: ها شيب رأسي.. هل تكرمني
فأنتهي وهو في شطيك منسدلُ؟!
ويغتدي كل شعري فيك أجنحةً
مرفرفاتٍ على الأنهار تغتسلُ
وتغتدي أحرفي فوق النخيل لها
صوتُ الحمائم إن دمعٌ ، وإن غزلُ
وحين أغفو... وهذي الأرض تغمرني
بطينها... وعظامي كلها بللُ
ستورقُ الأرضُ من فوقي، وأسمعُها
لها غناءُ على أشجارها ثملُ
يصيحُ بي: أيها الغافي هنا أبداً
إن العراقَ معافى أيها الجملُ



* يدمى العراق ويدمع، يأسى ويتصبر حتى يفوق في الصبر أيوبَ، ولا يركع بنوه، يبعث كالعنقاء من تحت رماد الحرب ليعود من جديد، ومن يشعر بالأخ غير أخيه؟ هي ذي دمشق تعيش جرح بغداد مرة أخرى، تقاوم كل ذلك الأسى، وعهداً ستبعث جميلة بهية، قلعة عربية وسط كل هذا الخراب، هذا قدر الأخوة أبداً...

كتب الراحل الكبير عبد الرزاق عبد الواحد قصيدة «يا صبر أيوب» عام 1993، وكان العالم بأسره يستعدي بغداد، مجيراً ضدها أعتى الجيوش وأقذر الأسلحة، لكنها بغداد التي لا تموت، عاشت لأبنائها وعادت لأخوانها فما نسيت عهد العروبة وهي اليوم في ظهر دمشق، ترسل قافلات النفط لكسر الحصار، وما من شكر يفيها حقها، فعاشت بغداد وعاش العراق حراً كريماً.

رسم العدد:

اكسروا الحصار على سورية




المجلة الثقافية للائحة القومي العربي